عباس محمود العقاد

عرائس وشياطين

الكتاب: عرائس وشياطين

الكاتب: عباس محمود العقاد

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

العقاد، عباس محمود
عرائس وشياطين/ عباس محمود العقاد
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٢٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولي: ٦ – ٥١٤ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٥٦٠٥ / ٢٠١٧

عرائس وشياطين

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

تمهيد

اتفقت الأساطير على أنَّ الشعر من وحي العرائس أو من وحي الشياطين.

فاختار الأوربيون أن يتلقوا وحيهم من عروس.

واختار العرب أن يتلقوا وحيهم من شيطان.

ولا نراهم اختلفوا كثيرًا في نهاية المطاف، وإن اختلفوا قليلًا في الخطوة الأولى.

فنهاية العروس أن تعمل بشيطان.

ونهاية الشيطان أن يعمل بعروس.

وما نظنهما عملا قط منفردين في فؤاد إنسان.

والرَّجَّاز الظريف «أبو النجم العجلي» يقرِّبُ الفجوة شيئًا ما بين الفريقين حين يقول:

إِنِّــي وَكُــلُّ شَــاعِرٍ مِــنَ الْبَشَــرْ شَــيْطَانُهُ أُنْثَــى وَشَــيْطَانِي ذَكَــرْ

فَمَــا رَآنِــي شَــاعِرٌ إِلَّا اسْتَسَــر فِعْــلَ نُجُــومِ اللَّيْــلِ عَــايَنَّ الْقَمَــرْ

فهو قد جعل الشياطين – ما عدا شيطانًا واحدًا – إناثًا يتوارين خجلاتٍ كما تتوارى النجوم من القمر.

تُرى هل إناث الشياطين جميلات كالعرائس المعشوقات؟

عند السعديِّ – الشاعر الفارسي – جوابٌ يحسم الخطاب فهو يقول: إنَّ

الشيطان نفسه جميل يغوي القلوب بجماله، وإنَّ أبناء آدم إنما مسخوه في الصورة والتماثيل؛ لأنه حَرَمَ أباهم الفردوس، فحرموه الجمال!

فالشيطانات إذن أحقُّ بالجمال وأقرب إلى العرائس، وما هؤلاء وهؤلاء إلا كما قال المعرِّيُّ: قريب حين تنظر من قريب.

هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحي العرائس ذوات الشياطين أو من وحي الشياطين ذوي العرائس.

تلقيناها من هؤلاء وهؤلاء، وجمعناها هدية إلى القرَّاء.

وكل ما توخَّيْناه فيها أن نتجنب التكرار، كما نتجنب الإسفاف والإطالة.

فهذه قصائد من الشعر العربي أو العالمي، يكثر فيها الإيجاز ويقلُّ الإسهاب، ويندُرُ فيها المشهور المتكرِّر على جميع الأسماع، ونجيز لأنفسنا فيها الحذف والتبديل مداراةً لإسفاف في العبارة أو إسفاف في الذوق والأدب، وعلينا تبعة القليل الذي طرأ عليها من الحذف والتبديل.

وحسبنا منها شرط واحد نرجو أن يتحقَّق لها جميعًا في رأي قُرَّائها، وذاك أنَّها – وهي من وحي العرائس والشياطين – خيرُ ما يقرِّب الإنسان إلى قلب الإنسان.

عباس محمود العقاد

عرائس وشياطين

الفراش [الداودي][١]

تَطِيــرُ فَرَاشُــهَا بِيضًــا وَحُمْــرًا ... كَــــرِيحٍ طَيَّـــــرَتْ أَوْرَاقَ وَرْدِ

فرس أو دبابة؟ [أبو الفضل الميكالي][٢]

خَيْـرُ مَا اسْتَطْرَفَ الْفَوَارِسُ طِرْفٌ ... كُـــلُّ طَــرْفٍ لِحُسْـــنِهِ مَبْهُــوتُ

هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلٌ، وَفِي السَّهْـ ... ـلِ عُقَـابٌ، وَفِـي الْمَعَـابِرِ حُـوتُ

الشعر [ابن المعتز][٣]

إِنَّ ذَا الشِّــعْرَ فِيــهِ ضِــيقُ نِطَــاقٍ ... لَـيْسَ مِثْلَ الْكَـلَامِ، مَـنْ شَـاءَ قَـالَا

يُكْتَفَـى فِيــهِ بِـالْخَفِيِّ مِـنَ الْوَحْـ ... ـــيِ، وَيَحْتَـــالُ قَـــائِلُوهُ احْتِيَـــالَا

قياس [شاعر ياباني مجهول حوالي القرن الثاني عشر للميلاد]

مَا دُمْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْوَقَائِعَ الَّتِي نَشْهَدُهَا

لَيْسَتْ هِيَ الْحَق الْيَقِين

فَمِنْ أَيْنَ لِي أَنَّ أَحْلَامَ الْمَنامِ

لَيْسَتْ سِوَى أَحْلَامٍ؟

---

(١) أبو محمد عبد الله الداودي من أُدباء هراة بخراسان نشأ في أواخر القرن الرابع.

(٢) عبد الله بن أحمد الميكالي من أفراد آل ميكال المعرقين في الرئاسة والأدب، وقد ازدهرت دولتهم بين القرن الرَّابع والقرن الخامس بخراسان.

(٣) عبد الله بن محمد المعتز بالله خليفة عباسي شاعر معروف وُلد سنة ٢٤٧ وقتل سنة ٢٩٦ واشتهر بالبديع والتشبيه.

الشيطان جميل [السعدي][٤]

الشيطانُ ما الرأي فيه؟ ... جميلٌ هو في سيماه أو دميم؟ هل هو على كلِّ حالٍ موصوفٌ بين النَّاس بصفةٍ لا اختلاف فيها، وهي الغواية. ولهذا قال الشيخ السعديُّ: إنه جميل. لأنَّ الغواية لا غنًى لها عن مظهرٍ خادعٍ، وصور لا تنفر منها العيون أول نظرة. وتلك هي وجهة نظر الشَّاعر الفارسي القديم حينما قال:

رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ فِي حُلْمٍ. فَيَا عَجَبًا لِمَا رَأَيْتُ!

رَأَيْتُهُ عَلَى غَيْرِ مَا وَهِمْتُ مِنْ صُورَتِهِ الشَّنْعَاءِ الَّتِي تُخِيفُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهَا: قَامَةٌ كَفَرْعِ البَانَةِ، عَيْنَانِ كَأَعْيُنِ الْحُورِ، طَلْعَةٌ كَأَنَّهَا تُضِيءُ بِأَشِعَّةِ النَّعِيمِ. قَارَبْتُهُ وَسَأَلْتُ: أَحَقٌّ أَنْتَ الشَّيْطَانُ الْمَرِيدُ؟ أَحَقٌّ ذَاكَ وَلَا أَرَى مَلَكًا لَهُ جَمَالُ مُحَيَّاكَ، وَلَا عَيْنًا قَدْ نَظَرَتْ إِلَى شَبِيهِ سِيمَاكَ؟

مَا بَالُ أَبْنَاءِ آدَمَ يَتَّخِذُونَكَ لَهُمْ ضُحْكَةً فِيمَا يُصَوِّرُونَكَ؟

وَفِي وُسْعِكَ أَنْ تَجْلُوَ لَهُمْ وَجْهًا كَصَفْحَةِ الْبَدْرِ، وَنَظْرَةً تَتَهَلَّلُ بِبَهْجَةِ الرُّضْوَانِ، وَابْتِسَامَةً تُشْرِقُ بِالنَّعِيمِ!

أُولَئِكَ الرَّسَّامُونَ يُبَغِّضُونَكَ إِلَى الْعَيْنِ، وَحَمَّامَاتُ الْأُنْسِ تَكْشِفُكَ لَنَا فِي صُورَةٍ تَنْقَبِضُ لَهَا الْقُلُوبُ!

وَيَقُولُونَ لِيَ إِنَّكَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ

وَمَا أَرَى أَمَامِيَ إِلَّا الصَّبَاحَ الْمُنِيرَ.

* * *

---

(٤) السعدي إمامٌ من أئمة الشعر والإرشاد في الأدب الفارسي، نشأ بشيراز، وكان مولده في أواخر القرن الثاني عشر للميلاد، ومن كُتُبِهِ المعروفة البستان والجلستان أي روضة الورد، وكلاهما في طرائف الخواطر والمواعظ.

سَأَلْتُ وَتَسَمَّعْتُ

فَتَحَرَّكَ الْحُلْمُ السَّاحِرُ، وَتَرَفَّعَ لَهُ صَوْتٌ فَخُورٌ

وَلَاحَتْ عَلَى طَلْعَتِهِ كِبْرِيَاءُ، وَقَالَ:

لَا تُصَدِّقْ يَا صَاحِ أَنَّهُ مِثَالِي ذَاكَ الَّذِي رَأَيْتَ فِيمَا يُمَثِّلُونَ

فَإِنَّ الرِّيشَةَ الَّتِي تَرْسُمُنِي تَجْرِي بِهَا يَدُ عَدُوٍّ حَسُودٍ

سَلَبْتُهُمُ السَّمَاءَ فَسَلَبُونِيَ الْجَمَالَ!

مرعى خطر [ابن سهل](٥)

رَعَيْتُ لِحَاظِي فِي جَمَالِكِ آمِنًا فَأَذْهَلَنِي عَنْ مَصْدَرِي حُسْنُ مَوْرِدِي

وَإِنَّ الْهَوَى فِي لَحْظِ عَيْنِكِ كَامِنٌ كُمُونَ الْمَنَايَا فِي الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ

أَظَلُّ وَيَوْمِي فِيكِ هَجْرٌ وَوَحْشَةٌ وَيَوْمِي، بِحَمْدِ اللهِ، أَحْسَنُ مِنْ غَدِي

وِصَالُكِ أَشْهَى مِنْ مُعَاوَدَةِ الصِّبَا وَأَطْيَبُ مِنْ عَيْشِ الْهَنِيِّ الْمُرَغَّدِ

عَلَيْكِ فَطَمْتُ الْعَيْنَ عَنْ لَذَّةِ الْكَرَى وَأَخْرَجْتُ قَلْبِي، طَيِّبَ الْقَلْبِ، عَنْ يَدِي

النسر الجريح [إسكايلوس](٦)

قِصَّةٌ يَرْوِيهَا اللُّوبِيُّونَ!

قَالُوا: أَصَابَ النَّسْرَ سَهْمٌ مِنْ قَوْسٍ

فَنَظَرَ عَلَى ذَلِكَ الصُّنْعِ الْمُجَنَّحِ الْعَجِيبِ

---

(٥) إبراهيم بن سهل الأندلسي الإشبيلي، شاعر غزل من أصل إسرائيلي، تُوفي غريقًا في نحو الأربعين من عمره سنة ٦٤٩ هجرية، وأكثر شعره في الغزل السهل الظريف.

(٦) إسكايلوس Aeschylus من أكبر شعراء اليونان الروائيين والغنائيين ٤٢٥–٤٥٦ قبل الميلاد.

وَقَالَ: عَلَى هَذَا نَحْنُ بِرِيشِنَا، لَا بِرِيشِ غَيْرِنَا، نُصَابُ.

بستاني دفينٌ [شاعر يوناني قديم مجهول]

أُمَّنَا الْأَرْضَ الْعَزِيزَةَ

خُذِي إِلَى صَدْرِكِ الشَّيْخَ «إِمْنَتِيكْسَ» لِيَسْتَرِيحَ

وَاذْكُرِي – وَمَا هِيَ بِقَلِيلَةٍ – تِلْكَ السِّنِينَ الَّتِي كَانَ يَجْهَدُ فِيهَا شَتَّى الْجُهُودِ مِنْ أَجْلِكِ.

فَكَثِيرًا مَا غَرَسَ لَكِ الزَّيْتُونَ الْمُورِقَ

وَحَلَّى وَجْهَكِ بِدَوَالِي الْكُرُومِ

وَأَغْنَاكِ بِحُقُولِ الْغِلَالِ

وَأَجْرَى فِيكِ الْجَدَاوِلَ مُنْسَرِبَاتٍ

لِيَزْدَانَ أَدِيمُكِ بِالْعُشْبِ وَالثَّمَرَاتِ

فَالْيَوْمَ آنَ لَكِ أَنْ تَجْزِيهِ عَلَى صَنِيعِهِ

وَأَنْ تُخَفِّفِي الْوِقْرَ عَلَى رَأْسِهِ الْأَشْيَبِ وَجَسَدِهِ النَّحِيلِ

وَإِذَا جَاءَ الرَّبِيعُ فَزَيِّنِي قَبْرَهُ بِالْخُضْرَةِ وَالرَّيْحَانِ.

قصة مُختصرة [أغنية مرضعات «إنجليزية»]

ثَلَاثَــــةُ شِــــيخَةٍ[٧] رَاحُــــوا   إِلَــــى الْبَحْــــرِ عَلَــــى زَوْرَقْ

وَلَــــوْ زَوْرَقُهُــــمْ أَقْــــوَى!   وَلَــــوْ بِنْيَــــتُهُمْ أَوْثَــــقْ

(٧) الشيخة: أي الأشياخ، والترجمة العربية من نظم المؤلف.

لَكَانَــــتْ قِصَّـــــتِي أَوْفَــــى   وَكَانَــــتْ قِصَّـــــتِي أَشْـــــوَقْ!

فؤاد ضائع [مجهول]

سَـأَلْتُهَا عَـنْ فُـؤَادِي أَيْـنَ مَوْضِـعُهُ؟   فَإِنَّــهُ ضَــلَّ مِنِّــي عِنْــدَ مَسْــرَاهَا!

قَالَـتْ لَـدَيْنَا قُلُوبٌ جَمَّـةٌ جُمِعَـتْ،   فأَيُّـهَا أَنْـتَ تَعْنِـي؟ قُلْـتُ أَشْـقَاهَا!

تكييف الهواء! [الأحوص][٨]

رَامَ قَلْبِــي السُّــلُوَّ عَــنْ أَسْــمَاءِ   وَتَعَــزَّى وَمَــا بِــهِ مِــنْ عَــزَاءِ

سُـخْنَةٌ فِـي الشِّـتَاءِ، بَـارِدَةُ الصَّيْـ   ــفِ سِـرَاجٌ فِـي اللَّيْلَـةِ الظَّلْمَـاءِ

وَلَهَــا مَرْبَــعٌ بِبَرْقَــةِ «خَــاخٍ»   وَمَصِــيفٌ بِالْقَصْــرِ قَصْــرِ قِبَــاءِ

غاية الحزن [علي بن الحسين العبسي]

وَمَا ذَاتُ بَعْلٍ مَاتَ عَنْهَا فُجَاءَةً   وَقَدْ وَجَدَتْ حَمْلًا دُوَيْنَ التَّرَائِبِ[٩]

بِـأَرْضٍ نَـأَتْ عَـنْ وَالِـدَيْهَا كِلَيْهِمَـا   تَعَاوَرَهَـا الْـوُرَّاثُ مِـنْ كُـلِّ جَانِـبِ

فَلَمَّا اسْتَبَانَ الْحَمْلُ مِنْهَا تَنَهْنَهُوا   قَلِـيلًا وَقَـدْ دَبُّـوا دَبِيـبَ الْعَقَـارِبِ

فَجَـاءَتْ بِمَوْلُـودٍ غُـلَامٍ فَحَـوَّزَتْ   تُـرَاثَ أَبِيـهِ الْمَيْـتِ دُونَ الْأَقَـارِبِ

فَلَمَّـا غَـدَا لِلْمَـالِ رَبًّـا، وَنَافَسَـتْ   لِإِعْجَابِهَـا فِيـهِ، عُيُـونُ الْكُوَاعِـبِ

وَأَصْـبَحَ مَـأْمُولًا يُخَـافُ وَيُرْتَجَـى   جَمِيـلَ الْمُحَيَّـا، ذَا عِـذَارٍ وَشَـارِبِ

أُتِـيحَ لَـهُ عَبْـلُ الـذِّرَاعَيْنِ مُخْـدِرٌ   جَـرِيءٌ عَلَـى أَقْرَانِـهِ غَيْـرُ هَائِـبِ

---

(٨) أبو عبد الله بن محمد الأنصاري شاعر أموي غزلي هجاء.

(٩) الترائب عظام الصدر، وتعاوره الوراث أي تناولوه من هنا وهناك، وعبل الذراعين المخدر هو الأسد، والذوائب جمع ذؤابة وهي الضفيرة المرسلة من الشعر، والحدوج الأحمال (انظر الصفحة التالية) ... وناظم الأبيات علي بن الحسين العبسي نشأ في أواخر القرن الرابع يُعرف بابن كوجك الورَّاق، حضر العلم بالديار المصرية.

فَلَـمْ يُبْـقِ مِنْـهُ غَيْـرَ عَظْـمٍ مُجَـزَّرٍ وَجُمْجُمَـةٍ لَيْسَـتْ بِـذَاتِ ذَوَائِـبِ
بِـأَوْجَعَ مِنِّـي يَـوْمَ وَلَّـتْ حُـدُوجُهُمْ يَـؤُمُّ بِهَـا الْحَـادُونَ وَادِي غَبَاغِـبِ

عين تسرق [الخليفة المأمون]

بَعَثْتُــكَ مُشْــتَاقًا فَفُــزْتَ بِنَظْــرَةٍ وَأَغْفَلْتَنِـي حَتَّـى أَسَـأْتُ بِـكَ الظَّنَّـا
أَرَى أَثَـرًا مِنْـهَـا بِعَيْنَيْـكَ لَـمْ يَكُـنْ لَقَدْ سَرَقَتْ عَيْنَاكَ مِنْ عَيْنِهَا حُسْنَا

لو! [ابن سهل]

يَقُولُونَ لَوْ قَبَّلْتَهُ لَاشْتَفَى الْجَوَى أَيَطْمَعُ فِي التَّقْبِيلِ مَنْ يَعْشَقُ الْبَدْرَا؟
وَمَنْ لِي بِوَعْدٍ مِنْهُ أَشْكُو بِخُلْفِهِ وَمَنْ لِي بِعَهْدٍ مِنْهُ أَشْكُو بِهِ الْغَدْرَا؟

نفس متفرقة [كثير بن عبد الرحمن][١٠]

وَمَـا ذَكَرْتُهَـا الـنَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَـتْ فَـرِيقَيْنِ: مِنْهَـا عَـاذِرٌ لِـي وَلَائِـمُ
فَرِيـقٌ أَبَـى أَنْ يَقْبَـلَ الضَّـيْمَ عَنْـوَةً وَآخَـرُ مِنْهَـا قَابِـلُ الضَّـيْمِ رَاغِـمُ

غالب لا يغلب [أبو أحمد اليمامي][١١]

غَالَبْــتُ كُــلَّ شَــدِيدَةٍ فَغَلَبْتُهَــا وَالْفَقْــرُ غَــالَبَنِي فَأَصْــبَحَ غَــالِبِي
إِنْ أُبْــدِهِ يَفْضَــحْ، وَإِنْ لَــمْ أُبْــدِهِ يَقْتُـلْ، فَقُبِّحَ وَجْهُـهُ مِـنْ صَـاحِبِ

حلم ويقظة [ابن قيس الرُّقيات][١٢]

ظَلَلْـــــتُ عَلَـــــى نَمَارِقِهَـــــا أُفَـــــدِّيهَا وَأَخْلُبُهَـــــا
أُحَـــــدِّثُهَا فَتُـــــؤْمِنُ لِـــــي فَأَصْـــــدُقُهَا وَأَكْـــــذِبُهَا

---

(١٠) هو كثير عزة من شعراء صدر الإسلام المشهورين، وكان راوية لجميل بثينة.
(١١) هو أبو أحمد اليمامي المشهور بالبوشنجي من أدباء بوشنج، نشأ في القرن الرابع للهجرة.
(١٢) شاعر غزل في الدولة الأموية عرف بابن قيس الرقيات لتشبيبه بأكثر من امرأة واحدة باسم رقية.

وَبِـــــتُّ ضَـــــجِيعَهَا جَـــــذْلَا   نَ، تُعْجِبُنِـــــــي وَأُعْجِبُهَـــــــا
وَأُضْـــــــحِكُهَا وَأُبْكِيهَـــــــا   وَأُلْبِسُـــــــــهَا وَأَسْـــــــلُبُهَا
أُعَالِجُهَـــــــا فَتَصْـــــــرِمُنِي   فَأُرْضِـــــــيهَا وَأُغْضِـــــــبُهَا
فَكَانَـــــتْ لَيْلَـــــةً فِـــــي النَّـــــوْ   مِ نَسْـــــــمُرُهَا وَنَلْعَبُهَـــــــا
فَأَيْقَظَنَـــــــا مُنَـــــــادٍ فِـــــــي   صَـــــلَاةِ الصُّـــــبْحِ يَرْقَبُهَـــــا
فَكَـــــانَ الطَّيْـــــفُ مِـــــنْ جِنِّيَـــــ   ـــــيَةٍ لَـــــمْ يُـــــدْرَ مَـــــذْهَبُهَا

لص يودع بنته [مالك بن الرَّيب وتروى لمطيع بن إياس](١٣)

... وَلَقَدْ قُلْتُ لِابْنَتِي وَهْيَ تَبْكِي   بِـــدَخِيلِ الْهُمُـــومِ قَلْبًـــا كَئِيبَـــا
عَبَـــرَاتٍ يَكَـــدْنَ يَجْـــرَحْنَ مَـــا جُـــزْ   نَ بِـــهِ، أَوْ يَـــدَعْنَ فِيـــهِ نُـــدُوبَا
حَـــذَرَ الْحَتْـــفِ أَنْ يُصِـــيبَ أَبَاهَـــا   وَيُلَاقِـي فِـي غَيْـرِ أَهْـلٍ شَـعُوبَا(١٤)
اسْكُتِي. قَدْ حَزَزْتِ بِالدَّمْعِ قَلْبِي   طَالَمَـــا حَـــزَّ دَمْعُكُـــنَّ الْقُلُوبَـــا
أَنَـــا فِـــي قَبْضَـــةِ الْإِلَـــهِ إِذَا كُنْـــ   ـــتُ بَعِيـدًا أَوْ كُنْـتُ مِنْـكِ قَرِيبَـا
كَـــمْ رَأَيْنَـــا امْـــرَءًا أَتَـــى مِـــنْ بَعِيـــدٍ   وَمُقِيمًـــا عَلَـــى الْفِـــرَاشِ أُصِـــيبَا
فَـــدَعِينِي مِـــنَ انْتِحَابِـــكِ إِنِّـــي   لَا أُبَـالِي مَتَـى اعْتَزَمْـتِ النَّحِيبَـا

ضميران [الحسين بن الضحاك](١٥)

أَيْـــنَ مَـــنْ لَا أَرَى وَلَـــيْسَ يَرَانِـــي   نُصْـــبَ عَيْنِـــي مُمَثَّـــلٌ بِالْأَمَـــانِي

---

(١٣) مالك بن الريب التميمي من شعراء الدولة الأموية، كان لصًّا يقطع الطريق ويُحسنُ إلى المساكين، ثم تاب وحسنت توبته، ومات بلسعة أفعى فرثى نفسه بقصيدةٍ يائيَّةٍ مشهورة.

(١٤) شعوب من أسماء الموت.

(١٥) الحسين بن الضَّحَّاك من شعراء الدولة العباسية المجيدين، نشأ بالبصرة، ونادم الخلفاء، وأوَّلهم محمد الأمين، وينسب إلى أبي نواس بعض شعره لغلبة الخمريات على الشعر النواسي، وهما من طبقةٍ مُتقاربان.

بِـــأَبِي مَـــنْ ضَـــمِيرُهُ وَضَـــمِيرِي ... أَبَـــــدًا بِالْمَغِيـــــبِ يَنْتَجِيَـــــانِ
نَحْـنُ شَخْصَـانِ إِنْ نَظَـرْتَ وَرُوْحَـا ... نِ، إِذَا مَـــا اخْتَبَـــرْتَ، يَمْتَزِجَـــانِ
فَــإِذَا مَــا هَمَمْــتُ بِــالْأَمْرِ أَوْ هَمــ ... ـــمَ بِشَـــيْءٍ بَدَأْتُـــهُ وَبَـــدَانِي
كَـانَ وَفْقًـا مَـا كَـانَ مِنْـهُ وَمِنِّـي ... فَكَـــأَنِّي حَكِيتُـــهُ أَوْ حَكَـــانِي
خَطَـرَاتُ الْجُفُــونِ مِنَّــا سَــوَاءٌ ... وَسَــــوَاءٌ تَحَـــرُّكُ الْأَبْـــدَانِ

رثاء عدو كان صديقًا [أبو بكر الخوارزمي](١٦)

لَقَـدْ صَـادَتْ يَـدُ الْأَيَّـامِ طَيْـرًا ... تَضِـيقُ بِـهِ حِبَالَـةُ مَـنْ يَصِـيدُ
وَأَصْـبَحَ فِـي الصَّـعِيدِ أَبُـو سَـعِيدٍ ... أَلَا إِنَّ الصَّـــعِيدَ بِـــهِ سَـــعِيدُ
صَـــدِيقٌ، قَـــدْ فَقَـــدْنَاهُ، قَـــدِيمٌ ... وَثُكْـــلٌ، قَـــدْ وَجَـــدْنَاهُ، جَدِيـــدُ
مُصَـابٌ، وَهْـوَ عِنْـدَ النَّـاسِ نُعْمَى ... وَنَحْـسٌ، وَهْـوَ عِنْـدَ النَّـاسِ عِيـدُ
تُهَنِّئُنِـــي الْأَنَـــامُ بِـــهِ وَلَكِـــنْ ... تُعَزِّينِـــي الْمَوَاثِـــقُ وَالْعُهُـــودُ
وَسَــيْفٌ قَــدْ ضَــرَبْتُ بِــهِ مِــرَارًا ... وَمِــنْ ضَــرَبَاتِهِ بِــي لِــي شُــهُودُ
وَمِـنْ عَجَـبِ اللَّيَـالِي أَنَّ خَصْـمِي ... يَبِيـــدُ، وَأَنَّ حُزْنِـــي لَا يَبِيـــدُ
بَكَيْـتُ عَلَيْـكَ بِـالْعَيْنِ الَّتِـي لَـمْ ... تَـزَلْ مِـنْ سُـوءِ فِعْلِـكَ بِـي تَجُـودُ
فَقَـــدْ أَبْكَيْتَنِـــي حَيًّـــا وَمَيْتًـــا ... فَقُــلْ لِــي: أَيُّ فِعْلَيْــكَ الرَّشِــيدُ؟
وَقَــدْ غَــادَرْتَنِي فِــي كُــلِّ حَــالٍ ... أَذُمُّ الـــدَّهْرَ فِيـــكَ وَأَسْـــتَزِيدُ

---

(١٦) الخوارزمي أديب كاتب شاعر راوية عالم باللغة، وُلد بخوارزم وعاش زمنًا في دمشق ومات بنيسابور سنة ٣٨٣هـ، ورسائله معروفة.

فَـــلَا يَـــوْمٌ تَمُـــوتُ بِـــهِ مَجِيـــدٌ وَلَا يَـــــوْمٌ تَعِـــيشُ بِـــهِ حَمِيـــدُ

لَقَــدْ صَــادَتْ يَــدُ الْأَيَّــامِ طَيْــرًا تَضِــيقُ بِــهِ حِبَالَــةُ مَــنْ يَصِــيدُ

ترادفان [ماركوس أرجنتاريوس][١٧]

نَعَمْ! كُنْتَ مَعْشُوقًا، يَا سُقْرَاطُ، إِذْ كُنْتَ ذَا مَالٍ

لَكِنَّ حُبَّكَ الْآنَ قَدْ مَاتَ فِي جَوَانِحِهَا

وَسُمُّ الْفَقْرِ النَّاقِعُ هُوَ الْمَلُومُ

لَقَدْ كَانَتْ، يَوْمًا، تَدْعُوكَ «أَدُونِيسِي»[١٨] الْعَزِيزَ

وَتَسْتَطْعِمُ مِنْكَ مَذَاقَ الطِّيبِ وَالْبُهَارِ

أَمَّا الْيَوْمَ فَهِيَ لَا تَسْتَحِي أَنْ تَسْأَلَكَ: مَا اسْمُكَ؟

وَمِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ؟ وَأَيْنَ تُقِيمُ؟

أَلَا تَعْلَمُ أَيُّهَا السَّيِّدُ الْعَزِيزُ أَنَّ «لَا مَالَ لَهُ»

وَ«لَا حُبَّ لَهُ» كَلِمَتَانِ مُتَرَادِفَتَانِ؟!

التركي الطوال (الذي ينسج) [روبرت كرفت كوك][١٩]

أَيُّهَا التُّرْكِيُّ الطُّوَالُ نَاسِجُ بِسَاطِي

أَيَخْطُرُ لَكَ عَلَى بَالٍ حَيْثُ تَشُكُّ بِالْإِبْرَةِ

---

(١٧) **Marcus Argentarius** شاعر يوناني ساخر نشأ حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد.

(١٨) أدونيس اسم من أسماء إله الحب عند اليونان استعاروه من أدوناي العبري.

(١٩) **Rupert Croft-cooke** شاعر إنجليزي معاصر وُلد سنة ١٩٠٤، وعرف الشرق ونظم في بعض موضوعاته.

كُلَّ خَيْطٍ مِنْ خُيُوطِكَ الصُّوفِيَّةِ ذَاتِ الْأَلْوَانِ
أَيُّ قَدَمٍ سَوْفَ تَخْطُرُ عَلَى أَزْهَارِكَ الْمَنْسُوجَاتِ؟
أَتُرَاكَ تَقُولُ: ذَلِكَ خَيْطٌ مِنْ صِبْغَةِ الْبُرْتُقَالِ
جَدِيرٌ بِقَدَمٍ حَسْنَاءَ أَنْ تَدُوسَهُ
فِي الْحُجُرَاتِ الْبَارِدَةِ مِنْ جُزُرِ الشِّمَالِ؟
أَتُرَاكَ تَقُولُ: ذَلِكَ خَيْطٌ مَدِيدٌ مِنْ زُرْقَةِ السَّمَاءِ
تُلَاطِفُهُ قَدَمُ طِفْلٍ بَيْضَاءُ؟
وَهَذَا مِنَ الْأَحْمَرِ الْمِفْرَاحِ لِقَوْمٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُدُنِ
الَّتِي لَا تَرَى فِيهَا طَنَافِسَ الْأَزْهَارِ
وَهَذَا قَرَارٌ مِنَ الْقَرَنْفُلِ النَّاعِمِ تَلْمَسُهُ أَقْدَامُ الشُّيُوخِ الشِّيْبِ
يَحْمِلُونَ أَقْدَاحَ «الشَّايِ» فِي صَمْتٍ وَتَوْقِيرٍ؟
أَتُرَاكَ تَقُولُ هَذَا، أَمْ لَعَلَّكَ مَا فَكَّرْتَ قَطُّ فِي صَاحِبِ الْبِسَاطِ
وَلَا تَزَالُ تُنْشِدُ كُلَّمَا نَسَجْتَ خَيْطًا مِنْ خُيُوطِكَ
سَتُوافِينِي هُنَاكَ عِنْدَ الْمَغِيبِ
سَتُوَافِينِي إِلَى ظِلَالِ النَّخْلَةِ السَّحُوقِ!

اسم يجمع أسماء [سوفكليس][٢٠]

تَعَلَّمُوا يَا بَنِيَّ أَنَّ الْحُبَّ لَيْسَ حُبًّا وَكَفَى

---

(٢٠) **Sophoclés** من شعراء الطبقة الأولى في اليونان ٤٠٦–٤٥٦ق.م.

وَأَنَّ اسْمَهُ الْوَاحِدَ تَنْطَوِي فِيهِ أَسْمَاءٌ شَتَّى

هُوَ «الْمَوْتُ» ... هُوَ «الْقُوَّةُ» الَّتِي لَا تُغْلَبُ

هُوَ «الشَّهْوَةُ الصُّرَاحُ» ... هُوَ «الْجُنُونُ» ... هُوَ «الْأَسَى»

هُوَ خُلَاصَةُ كُلِّ خَالِجَةٍ مِنَ الْخَوَالِجِ تَسُوقُ إِلَى السَّطْوَةِ

أَوْ إِلَى الْحَرَكَةِ، أَوْ إِلَى الطُّمَأْنِينَةِ

يَتَغَلْغَلُ فِي أَعْمَاقِ كُلِّ صَدْرٍ ... هَذَا الْإِلَهُ!

وَكُلٌّ لَهُ صَيْدٌ وَفَرِيسَةٌ:

مِنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي تَعُومُ، وَمِنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ

وَجَنَاحُهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ الَّتِي تَطِيرُ أَقْوَى جَنَاحٍ

وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ الْحَيَوَانُ وَالْإِنْسَانُ وَالْأَرْبَابُ الْعُلَى

... أَيُّ رَبٍّ لَا يَصْطَرِعُ وَالْحَبَّ، وَلَمْ يَخِرَّ صَرِيعًا؟

وَإِذْ صَحَّ أَنْ أَقُولَ – وَالْحَقُّ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ – فَهُوَ الْقَاهِرُ عَلَى قَلْبِ زِيُوس رَبِّ الْأَرْبَابِ، بِغَيْرِ رُمْحٍ وَبِغَيْرِ حُسَامٍ

الْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْإِلَهَ لَيَطِيشُ بِالنِّيَّاتِ: نِيَّاتِ الْخَلَائِقِ وَالْخَالِقِينَ.

بلاء النصح [حماد عجرد][٢١]

أَخِي! كُفَّ عَنْ لَوْمِي فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي   بِمَا فَعَلَ الْحُبُّ الْمُبَرِّحُ فِي صَدْرِي

---

(٢١) حماد عجرد شاعر عباسي له غزلٌ وهجاءٌ، وعاصر بشارًا وهجاه، وكان يُتَّهَمُ بالزندقة.

أَخِي! أَنْتَ تَلْحَانِي وَقَلْبُكَ فَارِغٌ   وَقَلْبِيَ مَشْغُولُ الْجَوَانِحِ بِالْفِكْرِ
دَوَائِي وَدَائِي عِنْدَ مَنْ لَوْ رَأَيْتَهُ   يُقَلِّبُ عَيْنَيْهِ لَأَقْصَرْتَ عَنْ زَجْرِي
فَأُقْسِمُ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لَوْعَةِ الْهَوَى   لَأَقْصَرْتَ عَنْ لَوْمِي وَأَطْنَبْتَ فِي عُذْرِي
وَلَكِنْ بَلَائِي مِنْكَ أَنَّكَ نَاصِحٌ   وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي

امرأة أبي دلامة [أبو دلامة][٢٢]

لَيْسَ فِي بَيْتِي لِتَمْهِيـ   ـدِ فِرَاشِي مِنْ قَعِيدَهْ
غَيْرُ عَجْفَاءَ عَجُوزٍ   سَاقُهَا مِثْلُ الْقَدِيدَهْ
وَجْهُهَا أَقْبَحُ مِنْ حُو   تٍ طَرِيٍّ فِي عَصِيدَهْ!
مَا حَيَاةٌ مَعَ أُنْثَى   مِثْلَ عِرْسِي بِسَعِيدَهْ

قحة! [وليام هنري دافيز][٢٣]

ذَاتَ صَبَاحٍ، وَالدُّنْيَا فِي مَشِيبِهَا الْقَارِسِ، وَشِتَائِهَا الْعَبُوسِ
ذَاتَ صَبَاحٍ، وَالْوُجُوهُ تَعْلُوهَا السَّآمَةُ وَالْكَلَالُ

عَبَرَتْ بِيَ عَذْرَاءُ فَاتِنَةٌ، تَنْفُثُ السُّحَيْبَاتِ الصِّغَارَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْفِضِّيَّةِ وَهِيَ فِي غِبْطَةٍ وَانْشِرَاحٍ

فِي وَجْنَتَيْهَا يَتَوَهَّجُ الْإِهَابُ الْمُوَرَّدُ
وَفِي ثَغْرِهَا تَتَلَأْلَأُ الثَّنَايَا الْبَوَاسِمُ
وَكِلْتَا الْعَيْنَيْنِ كَأَنَّهَا غَدِيرٌ فِي الْهِضَابِ

---

(٢٢) أبو دلامة شاعرٌ فكه من الموالي مدح الخلفاء في صدر الدولة العباسية، وكانت له دالة على الأُمراء والأميرات من أهل عصره لخِفَّةِ رُوحه وتمثيله بنفسه وذويه.

(٢٣) **William Henry Davies** من الشعراء الإنجليز المحدثين (١٨٧١–١٩٤٠).

يَسْرِقُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ السَّمَاءِ

* * *

قُلْتُ، وَذَلِكَ الْجَمَالُ يَعْبُرُ بِي فِي نَضْرَةٍ وَفَتَاءٍ

يُزْهِي بِكِبْرِيَائِهِ وَالشِّتَاءُ أَشْيَبُ قَرِيرٌ ...

قُلْتُ ضَاحِكًا وَعَيْنَايَ مَبْهُوتَتَانِ:

مَنْ رَأَى قَطُّ مِثْلَ هَذِهِ الْقِحَةِ فِي الدُّنْيَا الْعَجُوزِ؟!

صديقٌ أم عدُوٌّ؟ [عمار ذي كناز](٢٤)

أَلَا إِنَّ الْغَوَانِي قَدْ   بَرَى جِسْمِي هَوَاهُنَّهْ

وَقَالُوا: شَفَّكَ الْحُورُ   هَوًى، قُلْتُ لَهُمْ: إِنَّهْ!

وَلَكِنِّي عَلَى هَذَا   مُعَنًّى بِأَذَاهُنَّهْ

أَرَاحَ اللهُ عَمَّارًا   مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْهُنَّهْ

بَعِيدَاتٌ قَرِيبَاتٌ   فَلَا كَانَ، وَلَا كُنَّهْ

فَقَدْ أَذْهَلَ مِنِّي الْعَقْـ   ـلَ وَالْقَلْبَ شَجَاهُنَّهْ

يُمَنِّينَ الْأَبَاطِيلَ   وَيَجْحَدْنَ الَّذِي قُلْنَهْ

طبيبٌ أو منجِّمٌ؟ [وضاح اليمني](٢٥)

وَلَقَدْ يَقُولُ لِيَ الطَّبِيبُ وَمَا   نَبَّأْتُهُ مِنْ شَأْنِنَا حَرْفَا

إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ دَاءَكَ ذَا   مِنْ ذِي دَمَالِجَ يَخْضِبُ الْكَفَّا

---

(٢٤) عمار بن عمرو بن عبد الأكبر شاعر كوفي سكير أُقيم عليه الحد مرارًا في شرب الخمر، وظهر في أواخر الدولة الأموية وقصر شعره على الغزل اللين والمجون ولم يقصد أحدًا بمِدْحَةٍ.

(٢٥) غلب عليه اسم الوضاح لجماله واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل، وهو من حِمْيَر وكان يُشَبِّبُ بامرأةٍ فارسيَّةٍ ونشأ في الدولة الأموية.

كعبة المجنون [مجنون ليلى][٢٦]

أَرَانِي إِذَا صَلَّيْتُ يَمَّمْتُ نَحْوَهَا بِوَجْهِي وَإِنْ كَانَ الْمُصَلَّى وَرَائِيَا
وَمَا بِيَ إِشْرَاكٌ وَلَكِنَّ حُبَّهَا كَعُودِ الشَّجَا أَعْيَا الطَّبِيبَ الْمُدَاوِيَا
إِذَا سِرْتُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ رَأَيْتُنِي أُصَانِعُ رِجْلِي أَنْ تَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إِذَا كَانَتْ يَمِينًا وَإِنْ تَكُنْ شِمَالًا يُنَازِعْنِي الْهَوَى عَنْ شِمَالِيَا

قوس قزح! [الحسين بن مُطير][٢٧]

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمَتْ أَيَّامُهَا وَعُهُودُهَا
فَقَدْ جَعَلَتْ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا عِهَادُ الْهُدَى تُولِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا[٢٨]
لِمُرْتَجَّةِ الْأَطْرَافِ، هِيفٍ قُدُودُهَا عِذَابٍ ثَنَايَاهَا، عِجَافٍ قُيُودُهَا
وَصُفْرٍ تَرَاقِيهَا، وَحُمْرٍ أَكُفُّهَا وَسُودٍ نَوَاصِيهَا، وَبِيضٍ خُدُودُهَا
مُخَصَّرَةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا، بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا، عُقُودُهَا
يُمَنِّينَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

لا تنادني [روث بتر][٢٩]

لَا تُنَادِنِي وَالصَّيْفُ مُشْرِقٌ. أَيُّهَا الْمَوْتُ!

---

(٢٦) هو قيس بن الملوَّح الذي اشتهر بمجنون ليلى، وله شعرٌ شائعٌ ينسب بعضه إلى غيره وأشبهه به ما نمَّ عن خبالٍ وسوءِ حال.

(٢٧) الحسين بن مطير الأسدي شاعر حضر أواخر الدولة الأموية وأوائل العباسية وكان يتزيًّا بزي أهل البادية في لباسه وشعره.

(٢٨) العهاد المطهَّر المتوالي وتولي المطر أي تهطل ثانية.

(٢٩) Ruth Pitter شاعرة إنجليزية مُعاصرة لها مجموعة شعرية سمَّتها غنائم السلاح ومُنحت بعض جوائز الأدب القيِّمة في البلاد الإنجليزية.

إِنَّنِي فِي الصَّيْفِ لَنْ أُجِيبَ النِّدَاءَ ...

حِينَ يُوَسْوِسُ الْعُشْبُ وَيَتَمَايَلُ بِأَعْطَافِهِ

لَا تَرْفَعْ إِليَّ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ مِنْ تِلْكَ الظِّلَالِ السُّفْلَى

حِينَ يَحِنُّ الصَّفْصَافُ وَيَتَرَقْرَقُ الْمَاءُ

حِينَ يَتَوَانَى الْجَدْوَلُ وَيَنْعُسُ الْهَوَاءُ

حِينَ يَتَمَوَّجُ اللِّبْلَابُ عَلَى الْأَسْوَارِ

لَا تُنَادِنِي. قُلْتُ لَكَ لَا تُنَادِنِي أَيُّهَا الْمَوْتُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ

إِنَّكَ عَبَثًا تُنَادِي وَتَرْفَعُ الصَّوْتَ بِالنِّدَاءِ

فَفِي إِبَّانِ الْأَزَاهِيرِ النَّامِيَةِ لَنْ أُصْغِيَ إِلَيْكَ

* * *

لَكِنَّنِي سَأُصْغِي إِلَيْكَ حِينَ يَتَجَرَّدُ كُلُّ حَالٍ وَحَالِيَةٍ

وَمَرْحَبًا بِدُعَائِكَ حِينَ يَنْتَثِرُ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ عَلَى ثَرَاهُ

حِينَ يُسْمَعُ لِلسُّفُوحِ فَحِيحٌ فِي الْعَاصِفِ الْمُهْتَاجِ

حِينَ يَشُمُّ الرُّعَاةُ مِنَ الشَّرْقِ رَائِحَةَ الثُّلُوجِ

حِينَ يُهْجَرُ الْحَقْلُ لِلرِّيحِ تَتَوَلَّى حَصَادَهُ

حِينَ يُصْبِحُ الْإِعْصَارُ حَطَّابَ الْوَادِي الَّذِي يُطِيحُ بِأَعْوَادِهِ

حِينَ يُصْبِحُ الْبَرَدُ بِذْرَةَ الْأَرْضِ الَّتِي تَنْثُرُهَا السَّمَاءُ

حِينَ نَنْفِرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا نَتُوقُ إِلَى شَيْءٍ

نَادِ يَوْمئِذٍ يَا مَوْتُ، وَلَكَ الْإِصْغَاءُ وَالتَّرْحَابُ

فَيَوْمَئِذٍ أَسْمَعُ وَأَنْهَضُ، وَأَمْضِي!

تزهده الرغبة فيه [حسين بن الضَّحَّاك]

عَـــــــالِمٌ بِحبِّيْــــــــهِ   مُطْـــــــرِقٌ مِــــــنَ التِّيـــــهِ

يُوسُــــفُ الْجَمَــــالِ وَفِــــرْ   عَــــوْنُ فِــــي تَعَدِّيــــهِ

مَــــا الْحَيَــــاةُ نَافِعَــــةً   لِــــي عَلَــــى تَأَبِّيــــهِ

النَّعِــــــيمُ يُشْــــــغِلُهُ   وَالْجَمَــــــالُ يُطْغِيــــــهِ

فَهْــــوَ غَيْــــرُ مُكْتَــــرِثٍ   لِلَّــــــذِي أُلَاقِيــــــهِ

تَائِــــــهٌ تُزَهِّــــــدُهُ   فِــــيَّ رَغْبَتِــــي فِيــــهِ

إنَّ النِّساء ... [طفيل الغنوي](٣٠)

إِنَّ النِّسَــاءَ كَأَشْــجَارٍ نَبَــتْنَ مَعًــا   مِنْهَا الْمُرَارُ، وَبَعْضُ الْمُرِّ مَأْكُولُ

إِنَّ النِّسَـاءَ مَتَـى يُنْهَـيْنَ عَـنْ خُلُقٍ   فَإِنَّـــهُ وَاجِـــبٌ لَا بُـــدَّ مَفْعُـــولُ

إِنَّ النِّسَـاءَ وَلَـوْ صُـوِّرْنَ مِـنْ ذَهَـبٍ   فِـيهِنَّ مِـنْ هَفَـوَاتِ الْجَهْـدِ تَخْيِيـلُ

الجميل والمخيف [رينر ماريا ريلكه](٣١)

هَبْنِي صَرَخْتُ جَهْدِي، فَمَنْ ذَا يُلَبِّينِي

---

(٣٠) شاعر جاهلي اشتهر بوصف الخيل.

(٣١) **Rainer maria relke** شاعر تشكي وُلد في براج سنة **١٨٧٥** وتوفي سنة **١٩٢٦** وبدأ حياته من أنصار مدرسة الإحساس، ثم مدرسة الوعي الفكري، ثم ختم شعره بالرمزية التي تُلائم المزاج الغامض الذي يشيع في أوربا الشرقية والوسطى، وهذه القصيدة مَثَلٌ من رمزيَّاته الكثيرة، وهي تُمثِّلُ شُعورًا كأنَّما يُواجه هذه الدنيا ونصفه في الليل ونصفه في النهار.

مَنْ وَرَاءَ أُفُقِ الْمَلَائِكَةِ؟

وَهَبْهُ لَبَّانِي وَتَوَلَّانِي بِرَعْيِهِ. إِنَّنِي إِذَنْ لَمُضْمَحِلٌّ فَانٍ

فِي حَضْرَتِهِ الَّتِي تَغْمُرُنِي بِبَأْسِهَا وَاقْتِدَارِهَا

إِذْ لَيْسَ «الْجَمِيلُ» إِلَّا بَوَاكِيرَ «الْمُخِيفِ» الَّذِي يُوشِكُ أَلَّا يُطَاقَ

وَإِنَّمَا نُعْجَبُ بِهِ أَشَدَّ إِعْجَابِنَا

لِأَنَّهُ لَا يَتَنَزَّلُ إِلَى إِتْلَافِنَا وَسَحْقِنَا

كُلُّ مَلَكٍ فَهُوَ مُخِيفٌ

وَمِنْ ثَمَّ أُرَاجِعُ نَفْسِي وَأَحْبِسُ صَيْحَةَ التَّغْوِيثِ

الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبُكَاءِ

آهٍ. إِلَى مَنْ نَفْتَقِرُ نَحْنُ وَالَهْفَتَاهُ!

لَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَا إِلَى النَّاسِ

وَإِنَّ الْحَيَوَانَ الْفَطِنَ لَيَعْلَمُ أَنَّنَا نَأْوِي إِلَى غَيْرِ مَكَانِنَا

فِي الدُّنْيَا الْمُفَسَّرَةِ الْمَشْرُوحَةِ

وَلَعَلَّهُ قَدْ بَقِيَ لَنَا، نَرَاهُ حِينَمَا تَحَوَّلْنَا بِأَنْظَارِنَا

أَثَرٌ بَاقٍ مِنْ غَابِرٍ دَاثِرٍ: شَجَرَةٌ عَلَى مُنْحَدَرِ الطَّرِيقِ

طَرِيقِ أَمْسِ الدَّابِرِ

عَادَةٌ وَفِيَّةٌ لَنَا تَحْفَظُ لَنَا أَمَانَةَ الْأَمِينِ الْمُسْتَجِيبِ لِأَهْوَائِنَا

وَتُحِبُّ الْبَقَاءَ مَعَنَا، فَقَدْ بَقِيَتْ وَلَمْ تُفَارِقْنَا

وَلَكِنْ مَا بَالُ اللَّيْلِ! ...

اللَّيْلِ الَّذِي يَزْخَرُ بِعَوَاصِفِ الْفَضَاءِ السَّرْمَدِ

الَّتِي تَهْرَأُ أَدِيمَ وُجُوهِنَا

مَا الَّذِي يُعَجِّلُهُ، وَهْوَ يَشْتَهِي؟

رَفِيقٌ حِينَ يَخِيبُ الرَّجَاءُ

عَظِيمٌ فِي عَنَائِهِ عَلَى الْقَلْبِ الْفَرِيدِ ...

أَتُرَاهُ أَيْسَرَ عَلَى الْمُحِبِّينَ؟

وَيْحَنَا! إِنَّمَا وُقَايَةُ الْمُحِبِّينَ أَنَّهُمْ يُغَطُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ

فَلَهُمْ مِنْهَا دُرُوعٌ وَسُتُورٌ

أَلَا تَعْلَمُ هَذَا بَعْدُ؟

إِنَّنَا عَلَى مَدِّ أَذْرُعِنَا نَقْذِفُ بِالْفَرَاغِ

إِلَى الْفَضَاءِ الَّذِي نَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَنْفَاسَنَا

وَلَعَلَّ الطَّيْرَ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى مُلَاقَاةِ هَذَا الْفَضَاءِ الْمَمْدُودِ

بِوَثْبَةٍ فِيهِ.

مناجاة كريم [شعية أخو السموأل][٣٢]

لُبَـــابُ، يَـــا أُخْـــتَ بَنِـــي مَالِـــكٍ   لَا تَشْـــتَرِي الْعَاجِـــلَ بِالْآجِـــلِ

---

(٣٢) هو وأخوه من يهود يثرب وشُرَفائهم، وقد اشتهروا بالفضلِ والوفاء. وقصة السموأل حين أودعه امرؤ القيس أدراعه وحفظها له مُجازِفًا بحياة ابنه مذكورة شائعة.

لُبَــابُ، دَاوِينِـــي، وَلَا تَقْتُلِــي!   قَــدْ فُضِّــلَ الشَّــافِي عَلَـى الْقَاتِـلِ
إِنْ تَسْــأَلِي بِــي فَاسْــأَلِي خَــابِرًا   وَالْعِلْــمُ قَــدْ يُلْقَــى إِلَـى السَّــائِلِ
يُنْبِئْــكِ مَــنْ كَــانَ بِنَــا عَالِمًــا   عَنَّــا، وَمَــا الْعَــالِمُ كَالْجَاهِــلِ
إِنَّــا إِذَا حَــارَتْ دَوَاعِــي الْهَــوَى   وَأَنْصَـــتَ السَّـــامِعُ لِلْقَائِـــلِ
وَاعْـــتَلَجَ الْقَـــوْمُ بِأَلْبَـــابِهِمْ   فِــي الْمَنْطِــقِ الْفَاصِــلِ وَالنَّائِــلِ
لَا نَجْعَـــلُ الْبَاطِـــلَ حَقًّـــا وَلَا   نُلِـــظُّ دُونَ الْحَـــقِّ بِالْبَاطِـــلِ
نَخَـــافُ أَنْ تَسْـــفَهَ أَحْلَامُنَـــا   فَنَخْمَــلَ الــدَّهْرَ مَــعَ الْخَامِــلِ

حرية اليأس [مهيار الديلمي](٣٣)

مَلَكْتُ نَفْسِي مُذْ هَجَرْتُ طَمَعِي   الْيَــأْسُ حُــرٌّ، وَالرَّجَــاءُ عَبْــدُ
وَلَــوْ عَلِمْــتُ رَغْبَــةً تَسُــوقُ لِــي   نَفْعًــا، لَخِفْــتُ أَنْ يُضَــرَّ الزُّهْــدُ
فِي النَّاسِ مَنْ مَعْرُوفُهُ فِي عُنُقِي   غُــلٌّ، وَفِــيهِمْ مَــنْ جَــدَاهُ عِقْــدُ

حظ كالقمر [سفوكليس اليوناني]

حَظِّي عَلَى أُرْجُوحَةٍ مِنْ أَرَاجِيحِ الْقَدَرِ
أَبَدًا يَعْلُو وَيَهْبِطُ، وَيَدُورُ وَيَتَحَوَّلُ
كَأَنَّهُ وَجْهُ الْقَمَرِ لَا يُرَى لَيْلَتَيْنِ عَلَى حَالٍ
يَطْلُعُ هِلَالًا، وَيَنْمُو جَمِيلًا، وَيَسْتَتِمُّ النَّمَاءُ

---

(٣٣) مهيار بن مرزويه مجوسي أسلم على يد الشريف الرضي، وظهر في أواخر القرن الرابع، وله شعر سلس يجوّد فيه بعض الوصف والغزل والحكمة.

وَفِي لَيْلَةٍ إِذْ هُوَ عَلَى أَوْفَى تَمَامِهِ، يَدْخُلُ فِي الْمَحَاقِ!

أخوان: الفرح والألم [روث بتر]

مَا بَالُ فَرَحِي؟
انْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ يَذُوبُ وَيَبْلَى
حَيْثُ الْأَلَمُ – ذَلِكَ الْوَلَدُ الْمُتَرَعْرِعُ النَّامِي
يَلْتَهِمُ الْتِهَامَهُ، وَيَعِيثُ شَهْوَةً، وَيَأْكُلُ كُلَّ مَا عِنْدِي!
وَالْفَرَحُ لَا يَجِدُ طَعَامًا
وَيَسْتَكِينُ إِلَى جَانِبِ الْمِدْخَنَةِ
كَأَنَّهُ يَمُوتُ

* * *

إِذَا انْطَوَى الْفَرَحُ، فَإِنِّي مُقِيمَةٌ مَعَ الْأَلَمِ
فَمَنْ يَدْرِي يَوْمَ تَخْلُو لِي صُحْبَتُهُ مُنْفَرِدَةً
لَعَلَّهُ يَرِقُّ وَيَهْدَأُ فِي شِتَاءِ الْمَشِيبِ
وَتِلْكَ الْجِرَاحُ الَّتِي أَدْمَاهَا
يَعُودُ فَيَأْسُوهَا!

* * *

لَكِنَّنِي سَأُغَذِّي الْأَخَوَيْنِ مَعًا
الْمُفْتَرِسَ الْعَادِيَ، وَالْمَيِّتَ الدَّفِينَ

وَإِنَّ بِي لَقُوَّةً. فَلَا أَنِينَ إِلَّا مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ

* * *

أَنْظُرُ إِلَى الطُّهْرِ الْحَزِينِ

طُهْرِ السَّمَاءِ الْبَيْضَاءِ وَالْجَدْوَلِ الْمُنْسَابِ

إِلَيْهِمَا، وَإِلَى شَجَرَةِ الشِّتَاءِ، سَأَنْظُرُ وَأَرْجِعُ مَعَ الْأَحْلَامِ.

ساعة قصيرة [المعتضد بالله](٣٤)

رَعَى اللهُ مَنْ يَصْلَى فُؤَادِي بِحُبِّهِ سَعِيرًا، وَعَيْنِي مِنْهُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

غَزَالِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ، شَمْسِيَّةُ السَّنَا كَثِيبِيَّةُ الرِّدْفَيْنِ، غُصْنِيَّةُ الْقَدِّ

شَكَوْتُ إِلَيْهَا حُبَّهَا بِمَدَامِعِي وَأَعْلَمْتُهَا مَا قَدْ لَقِيتُ مِنَ الْوَجْدِ

فَصَادَفَ قَلْبِي قَلْبَهَا وَهْوَ سَالِمٌ فَأَعْدَى، وَذُو الشَّوْقِ الْمُبَرِّحِ قَدْ يُعدِي

فَجَادَتْ، وَمَا كَادَتْ، عَلَيَّ بِخَدِّهَا وَقَدْ يَنْبُعُ الْمَاءُ النَّمِيرُ مِنَ الصَّلْدِ(٣٥)

فَقُلْتُ لَهَا: هَاتِي ثَنَايَاكِ! إِنَّنِي أُفَضِّلُ نُوَّارَ الْأَقَاحِي عَلَى الْوَرْدِ

وَمِيلِي عَلَى جِسْمِي بِجِسْمِكِ، فَانْثَنَتْ تُعِيدُ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْهَا كَمَا تُبْدِي

عِنَاقًا، وَلَثْمًا، أَرْوَيَا الشَّوْقَ بَيْنَنَا فُرَادَى، وَمَثْنَى، كَالشَّرَارِ مِنَ الزَّنْدِ

فَيَا سَاعَةً مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتَهَا لَديَّ تَقَضَّتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ

---

(٣٤) علي بن إدريس المعتضد خليفة من خلفاء الموحدين بمراكش، بُويع بالخلافة سنة ٦٤٠ هجرية، وانقضت أيَّامه في الفتن، وقُتل غيلة وهو يُحاصرُ بعض الثائرين عليه، وكان إلى حزمه وسطوته ينظِمُ الشِّعر الحسن ويفرُغُ للمُنَادَمَةِ.

(٣٥) الصلد: الحجر الصلب، والماء النمير الزَّاكي الكثير.

تمرينات! [بن جونسون][٣٦]

بِحَقِّ الْحُبِّ: قُبْلَةً أُخْرَى!
إِنَّنِي أَتَلَهَّفُ، وَغَيْرُ جَمِيلٍ أَنْ أَتَلَهَّفَ عَبَثًا
لَا عَيْنَ تَرَانَا. فَلِمَ تُبْطِئِينَ! وَفِيمَ تَتَلَفَّتِينَ؟
إِنَّنِي كَالنَّحْلَةِ، لَا أَزِيْدُ زَهْرَتِي عَلَى لَمْسَةٍ عَاجِلَةٍ
ثُمَّ أَطِيرُ ...

* * *

مَرَّةً أُخْرَى. وَلَكِ الْعَهْدُ أَنَّنِي بَعْدَهَا ذَاهِبٌ ...
أَيَقْنَعُ مَنْ يُحِبُّ بِمَا دُونَ وَاحِدَةٍ؟!
لَا. لَيْسَ هَكَذَا، فَفِي الْقُبْلَةِ غَلْطَةٌ ...!
وَقَدْ تُكْرِمِينَ وَتُخْطِئِينَ فِي كَرَمِكِ الْجَزِيلِ
نِصْفُ قُبْلَةٍ هَذِهِ أَوْلَى أَنْ تُدْعَى
وَمَا يُصْنَعُ مَرَّةً وَاحِدَةً، يَنْبَغِي أَنْ يُتْقَنَ جِدًّا
وَيَنْبَغِي لَنَا فِيهِ أَنْ نَتَأَنَّى

* * *

هَذِهِ الْأَخِيرَةُ!

---

(٣٦) **Ben Jonson** شاعرٌ من شعراء القصائد الغنائية والروايات التمثيلية، عاصر شكسبير وتقدَّم الشعراء جميعًا في فنِّ المسرحية الفكاهية، مع قوة وتشويق وابتكار (١٥٣٧–١٦٣٧).

لَا أَبْغِي إِلَّا أَنْ أُصْلِحَهَا وَأَعُودَ إِلَى تَجْوِيدِهَا

عَسَى أَنْ أَقُولَ: كَيْفَ كَانَتْ تَمْلُحُ، وَكَيْفَ كَانَتْ تَطِيْبُ

شَفَةٌ إِلَى شَفَةٍ، وَنَفَسٌ يَتَرَشَّفُ نَفَسًا، وَلِسَانٌ حَائِرٌ بَيْنَهُمَا

وَمَنْ يَحْسِبُنَا عَلَى ذَلِكَ مَيِّتَيْنِ، دَعِيهِ يَتَمَنَّى لَنَا الْمَوْتَ!

اختراع الشعر [لوكاس](٣٧)

كَلَامٌ جَدِيدٌ. وَزْنٌ جَدِيدٌ. شُعُورٌ جَدِيدٌ!

أَنْتَ لَا تَفْتَأُ تَصِيحُ: بَلِيَ الْقَدِيمُ الْمَبْذُولُ، فَهَاتِ لَنَا الْجَدِيدَ

يَا صَاحِ! إِنَّ الطَّبِيعَةَ أَسْعَدُ مِنْكَ فِي صَنِيعِهَا

فَمَا فِيهَا يَوْمًا مِنْ جَدِيدٍ، وَفِيهَا كُلَّ يَوْمٍ جَمَالٌ

تُخْرِجُ مِنَ الْقَالِبِ أَلْفَ أَلْفَ مِثَالٍ

وَهْيَ أَقْدَمُ مِنَ التَّارِيخِ، وَمَا هِيَ بِقَدِيمَةٍ قَطُّ فِي حِينٍ.

سطوة الملك [محمد بن قزمان؟](٣٨)

مَـا بَـالُ أَنْجُـمِ هَـذَا اللَّيْـلِ حَـائِرَةً   أَضَلَّتِ الْقَصْدَ، أَمْ لَيْسَتْ عَلَى فَلَكِ؟

عَـادَتْ سَـوَارِيهِ وَقْفًـا لَا حِـرَاكَ بِهَـا   كَأَنَّهَـــا جُثَـــثٌ صَـــرْعَى بِمُعْتَـــرَكِ

مَـا تَنْقَضِـي سَـاعَةٌ مِنْـهُ فَتُطْمِعَنِـي   فِيــهِ، وَلَا هُــوَ فِــي وَجْــهٍ بِمُنْسَــلِكِ

---

(٣٧) **Edward Verrall Lucas** شاعرٌ ناثرٌ إنجليزيٌّ له فصول شائقة ولمحات سريعة في النثر والشعر مع سهولةٍ وتنويع (١٨٦٨–١٩٣٨).

(٣٨) يختلف في نسبة الأبيات إلى ابن قزمان وهو أبو بكر محمد بن قزمان القرطبي الذي يرجع إليه ترويج فنِّ الزَّجَلِ أو نظم الشعر باللغة الفصيحة التي تهمل حركات الإعراب مع امتزاجٍ بالعامية، وذلك في أواخر عهد العرب بالأندلس.

هَلْ مِنْ بَشِيرٍ بِنُورِ الصُّبْحِ تُنْقِذُنِي   بُشْـرَاهُ مِـنْ طُـولِ وَجْـدٍ غَيْـرَ مُتَّـرَكِ
فَقَـدْ أَجَـدَّ الْتِـوَاءُ اللَّيْـلِ لِـي شَـجَنًا   وَأَضْـجَعَتْنِي تَبَـارِيحِي عَلَـى الْحَسَـكِ
خُـذْ يَـا سَـعِيدُ كُئُـوسَ الرَّاحِ مُتْرَعَـةً   فَسَـــقِّنِيهَا وَلَا تَسْـــأَلْ عَـــنِ الـــدَّرَكِ
وَهِــجْ بِأَلْحَانِــكَ الطَّنْبُــورَ إِنَّ لَــهُ   عَلَـى شُـجُونِ الْمُعَنَّـى سَـطْوَةَ الْمَلِـكِ

الكيمياء [السعدي الشيرازي]

دَعِ السُّخْرِيَةَ مِنْ أُسْطُورَةِ الْأَوَائِلِ، فَمَا كَذَبُوا
يَوْمَ حَدَّثُونَا بِالْحَجَرِ الَّذِي يُخْرِجُ النُّضَارَ
مِنْ خَسِيسِ الْمَعَادِنِ وَالْأَحْجَارِ
فَهَذِهِ كِيمْيَاءُ الْقَنَاعَةِ تُسوِّي بَيْنَ الْجَوْهَرِ وَالْحَصَى فِي يَدَيْكَ

* * *

إِنَّ الطِّفْلَ الْبَرِيءَ لَا يَعْتَلِجُ صَدْرُهُ بِطَمَعٍ وَلَا كِبْرِيَاءَ
وَيَمْلَأُ يَدَيْهِ بِالثَّرَى، وَلَيْسَتِ الْفِضَّةُ عِنْدَهُ
بِأَكْرَمَ وَلَا أَغْلَى

* * *

وَإِنَّ السُّلْطَانَ لَيَنْظُرُ فِي خُيَلَائِهِ مِنْ عَلٍ إِلَى الدَّرْوِيشِ الْقَابِعِ عَلَى الْبَابِ
وَلَكِنَّ وِطَابَهُ الْخَاوِيَ أَحْفَلُ بِالْكُنُوزِ مِنْ خَزَائِنِ السُّلْطَانِ

* * *

وَغَنِيٌّ ذَلِكَ السَّائِلُ الَّذِي تَرْمِي إِلَيْهِ بِدِرْهَمٍ فَيَرْضَى

أَمَّا أَفْرِيدُونَ فَلَمْ يَرْضَ وَعِنْدَهُ الدَّوْلَةُ وَالصَّوْلَجَانُ.

صورة [جون دون][٣٩]

إِلَيْكِ صُورَتِي!

أَمَّا صُورَتُكِ فَفِي الْقَلْبِ، حَيْثُ يَطْمَئِنُّ الْقَلْبُ

وَإِنْ قُلْتُ: الْوَدَاعَ

* * *

إِنَّ صُورَتِي لَتُشْبِهُنِي الْآنَ

وَلَكِنَّهُ شَبَهٌ يَزْدَادُ حِينَ تَنْقَضِي الْحَيَاةُ

إِذًا أَنَا يَوْمَئِذٍ خَيَالٌ، وَهِيَ مِثْلِي خَيَالٌ!

* * *

وَلَرُبَّمَا رَجَعْتِ بَعْدَ التِّطْوَافِ فِي الْآفَاقِ

فَتَرِينَ رَجُلًا سَفَعَتْهُ الْأَجْوَاءُ، وَتَهَرَّأَتْ يَدَاهُ

مِنْ مَسِّ الْمَجَاذِيفِ الْخِشَانِ

وَلَوَّحَتِ الشَّمْسُ مُحَيَّاهُ، وَكَسَا الشَّعْرُ صَدْرَهُ

وَوَخَطَهُ الشَّيْبُ مِنْ هَوْلِ الْعَوَاصِفِ الْمُغَيِّرَاتِ

فِي غَيْرِ هِينَةٍ وَلَا مَوْعِدٍ مَقْدُورٍ

---

(٣٩) John Donne شاعر وواعظ إنجليزي، في شعره الغنائي وقار الوُعَّاظِ مع جزالةٍ وصفاءٍ (١٥٧٣–١٦٣١).

جَسَدِي كَأَنَّهُ كِيسُ عِظَامٍ

قَدْ تَحَطَّمَ مِنْهُ مَا بَطَنَ، وَتَبَقَّعَ مِنْهُ مَا ظَهَرَ

* * *

يَوْمَئِذٍ يَلُومُكِ عَاذِلُكِ وَهْوَ يُنَافِسُنِي فِيكِ

كَيْفَ تُحِبِّينَ رَجُلًا كَهَذَا الْغَلِيظِ الدَّمِيمِ!

إِذْ أَنَا كَذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَا أَسَفَاهُ

فَدَعِي هَذِهِ الصُّورَةَ تُحَدِّثُهُ يَوْمَذَاكَ

عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الْغَلِيظِ الدَّمِيمِ كَيْفَ كَانَ

وَحَدِّثِيهِ أَنْتِ قَائِلَةً:

أَفَهَذِهِ الْعَوَارِضُ تَسْرِي إِلَيَّ؟

أَتُرَاهَا أَصَابَتْهُ فِي عِزَّتِي عِنْدَهُ وَفِي مَنْزِلَتِي لَدَيْهِ؟

أَلَهَا مَسِيسٌ بِحُكْمِهِ حَيْثُ يَصْغُرُ الْآنَ مَا كَانَ جَلِيلًا عِنْدَهُ قَبْلَ الْآنَ؟

إِنَّ رِوَاءَهُ الَّذِي كَانَ فِيهِ شَفَّافًا رَقِيقًا إِنَّمَا هُوَ دَرَّةُ الرَّضَاعِ

الَّتِي يَتَرَبَّى عَلَيْهَا الْحُبُّ وَهْوَ صَغِيرٌ فِي مَهْدِهِ

وَلَكِنَّ حُبَّنَا قَدْ نَمَا وَكَبُرَ، فَهْوَ قَادِرٌ عَلَى هَذَا الطَّعَامِ الْخَشِنِ

الَّذِي لَا يُسِيغُهُ رُضَعَاءُ الْغَرَامِ.

رجلٌ للزَّمان [عبد العزيز بن زرارة الكلابي][٤٠]

مَا سُدَّ مُطَّلَعٌ يُخْشَى الْهَلَاكُ بِهِ   إِلَّا وَجَدْتُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُطَّلَعَا
لَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ قَلْبِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ   وَلَا يَضِيقُ لَهُ صَدْرِي إِذَا وَقَعَا

مفردات الشريف الرضي[٤١]

النَّاسُ إِمَّا قَانِعٌ أَوْ طَالِبٌ   لَا يَنْتَهِي، أَوْ رَاغِبٌ أَوْ رَاهِبُ

* * *

عَصَفَ الرَّدَى بِمُحَمَّدٍ وَمُذَمَّمٍ   فَكَأَنَّمَا وَجَدَ الرِّجَالَ سَوَاءَ

* * *

وَمَا كُلُّ أَيَّامِ الْمَشِيبِ مَرِيرَةٌ   وَلَا كُلُّ أَيَّامِ الشَّبَابِ عَذَابُ

* * *

وَيَجْرِي عَلَى مَنْ مَاتَ دَمْعِي وَمَا لَهُ   بَكَيْتُ، وَلَكِنِّي بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي

* * *

رَيُّ الْخُدُودِ مِنَ الْمَدَامِعِ شَاهِدٌ   إِنَّ الْقُلُوبَ مِنَ الْغَلِيلِ صَوَادِ

* * *

عَادَاتُ هَذَا النَّاسِ ذَمُّ مُفَضَّلٍ   وَمَلَامُ مِقْدَامٍ، وَعَذْلُ جَوَاءِ

* * *

أَرَى رِجَالًا كَبُهْمِ الْقَاعِ عِنْدَهُمُ   سِيَّانِ مَنْ مَذَقَ الْآرَاءَ أَوْ صَرَحَا

* * *

---

(٤٠) عبد العزيز بن زرارة قائدٌ شجاعٌ شهد غزو القسطنطينية وقُتل في حروب الروم، وكان معاوية يسميه فتى العرب لبسالته وصدق بلائه.

(٤١) أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي، أفحل شعراء عصره لفظًا وأفخمهم معنًى، ورُبَّما كان في لغته أفحل الشعراء الإسلاميين قاطبةً، وله رسائل وتواليف في المجاز والبلاغة (٣٥٩-٣٠٦هـ).

خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شُـــرَكَاؤُكَ الْأَيَّـــامُ وَالْـــوُرَّاثُ

* * *

مَا كُـلُّ نَسْـلِ الْفَتَى تَزْكُو مَغَارِسُـهُ قَـدْ يُفْجَـعُ الْعُـودُ بِـالْأَوْرَاقِ وَالثَّمَـرِ

* * *

الْعَبْـــدُ أَصْـــبَرُ جِسْـــمًا وَالْحُـــرُّ أَصْـــبَرُ قَلْبًـــا

* * *

لَا يُعَـابُ الْمُقِـلُّ وَهْـوَ قَنُـوعُ وَيُعَـابُ الْغَنِـيُّ وَهْـوَ حَـرِيصُ

* * *

خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ مَرْأًى دُونَ مُسْتَمَعٍ يَـا بُعْـدَ بَـيْنَ عِيَـانِ الْمَـرْءِ وَالْخَبَـرِ

* * *

وَالْحُـرُّ تُنْهِضُـهُ إِمَّـا شَـجَاعَتُهُ إِلَـى الْمُلِـمِّ، وَإِمَّـا خَشْـيَةُ الْعَـارِ

* * *

يَقُولُـونَ نَـمْ فِي هُدْنَـةِ الـدَّهْرِ آمِنًـا فَقُلْتُ: وَمَنْ لِي أَنْ يُهَادِنَنِي الدَّهْرُ

* * *

وَلَا أَفْتَرِي. إِنَّ الشَّبَابَ هُوَ الْغِنَى وَإِنْ قَلَّ مَالٌ، وَالْمَشِيبَ هُوَ الْفَقْرُ

* * *

هَيْهَـاتَ يَعْـدِلُ فِـي قَضِـيَّتِهِ قَمَـرٌ يُـدِلُّ بِدَوْلَـةِ الْحُسْـنِ

* * *

مَـا أَسْـرَعَ الْأَيَّـامَ فِـي طَيِّنَـا تَمْضِـي عَلَيْنَـا، ثُـمَّ تَمْضِـي بِنَـا

* * *

وَإِنَّكَ أَحْلَى فِي جُفُونِي مِنَ الْكَرَى وَأَعْذَبُ طَعْمًا فِي فُؤَادِي مِنَ الْأَمْنِ

* * *

لَـمْ يَلْـبَسِ الثَّـوْبَ مِـنْ تَوَقُّعِـهِ الْأَ   مْــــرَ إِلَّا وَظَنَّــــهُ كَفَنَــــا

* * *

مُعَــادَاةَ الرِّجَــالِ عَلَــى اللَّيَــالِي   أُطِيــــقُ، وَلَا مُــــدَارَاةَ النِّسَــــاءِ

* * *

وَإِنِّــــي عَلَــــى شَــــغَفِي بِالْوَقَــــارِ   أَحِــــنُّ إِلَــــى خَطَــــرَاتِ الصِّــــبَا

* * *

فَــاتَنِي أَنْ أَرَى الــدِّيَارَ بِطَرْفِــي   فَلَعلِّــي أَرَى الــدِّيَارَ بِسَــمْعِي

* * *

قَدْ كُنْتُ أُجْزِيكَ الصُّدُودَ بِمِثْلِهِ   لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ كَانَ بَيْنَ ضُلُوعِي

* * *

السَّـــيْفُ إِنْ مَـــرَّ عَلَـــى هَامَـــةٍ   رَوَّعَهَـــا، إِنْ هُـــوَ لَـــمْ يَقْطَـــعِ

* * *

وَكَــانَ الْغُــبْنُ لَــوْ ذَلُّــوا وَنَــالُوا   فَكَيْــفَ إِذَنْ وَقَــدْ ذَلُّــوا وَخَــابُوا

* * *

إِذَا قَلَّ مَالِي قَلَّ صَحْبِي وَإِنْ نَمَا   فَلِي منْ جَمِيعِ النَّاسِ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ

* * *

وَمَــنْ ضَــاقَتِ الْأَرْضُ عَــنْ هَمِّــهِ   حَــرٍ أَنْ يَضِــيقَ بِــهِ مَضْــجَعُ

* * *

إِذَا لَـمْ أَنَـلْ مِـنْ بَلْـدَةٍ مَـا أُرِيـدُهُ   فَمَــا سَــرَّنِي أَنَّ الْــبِلَادَ رِحَــابُ

* * *

وَإِذَا ظَفِرْتُ مِنَ الْمَنَاقِبِ بِالْمُنَى   أَهْوَنْــتُ بِــالْأَرْزَاقِ وَالْأَقْسَــامِ

* * *

وَأَيْـنَ نَحُـورُ عَـنْ طُـرُقِ الْمَنَايَـا وَفِـي أَيْـدِي الـرَّدَى طَـرَفُ الزِّمَـامِ

* * *

مَـنْ يَشْـتَرِي مِنِّـي جَمِيـعَ فَضْـلِي بِسَـاعَةٍ مِـنْ عَـيْشِ أَهْـلِ الْجَهْـلِ؟

* * *

لَا يُصْــلِحُ النَّــاسَ لِأَرْبَــابِهِمْ غَيْــرُ بَيَـاضِ السَّـيْفِ وَالـدِّرْهَمِ

* * *

قَـدْ يَبْلُـغُ الرَّجُـلُ الْجَبَـانُ بِمَالِـهِ مَـا لَـيْسَ يَبْلُغُـهُ الشُّـجَاعُ الْمُعْـدِمُ

* * *

وَأَكْثَـرُ مَـنْ شَـاوَرْتُهُ غَيْـرُ حَـازِمٍ وَأَكْثَرُ مَنْ صَاحَبْتُ غَيْرُ الْمُوَافِقِ

* * *

وَلَوْ أَنَّنِي خُيِّرْتُ مَنْ أَمْنَحُ الْهَوَى لَمَا اخْتَرْتُ أَنْ أَهْوَى هَوًى وَمَعِي عَقْلِي

* * *

وَأَرَى الْمُعَــرِّضَ بِــاللَّئِيمِ كَأَنَّــهُ أَعْشَى اللِّحَاظِ يَحُزُّ غَيْرَ الْمِفْصَلِ

* * *

أَضَــلَّتِ السَّـبْعَةُ الْعُلْيَـا طَرَائِقُهَـا أَمْ أَخْطَأَتْ نَهْجَهَا، أَمْ سُمِّرَ الْفَلَكُ!

* * *

اشْــــتَرِ الْعِــــزَّ بِمَــــا بِيـــــ ـــــعَ فَمَــــا الْعِــــزُّ بِغَــــالِ

* * *

لَا تَجْعَلَـنَّ دَلِيـلَ الْمَـرْءِ صُـورَتَهُ كَمْ مَخْبَرٍ سَمِجٍ عَنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ

* * *

لَــــئِنْ آيَسَــــنِي الصَّــــدُّ لَقَــــدْ أَطْمَعَنِــــي الــــدَّلُّ

* * *

وَمَـا تَــرَكَ الرِّمَــاءَ قُصُــورَ بَــاعٍ وَلَكِــنْ كَــيْ تُــرَاشَ لَــهُ السِّــهَامُ

* * *

وَكَيْفَ وُفُورُ الْمَالِ وَالْعِرْضُ وَافِرٌ وَمَنْ يَخْزُنِ الْأَمْوَالَ يُنْفِقْ مِنَ الْعِرْضِ

* * *

وَخَلَائِـقُ الـدُّنْيَا خَلَائِـقُ مُـومِسٍ لِلْمَنْــــعِ آوِنَــــةً وَلِلْإِعْطَــــاءِ

الحياة نوم مفزع [الشريف الرضي]

يَقُولُونَ: مَاشِ الدَّهْرَ مِنْ حَيْثُ مَا مَشَى فَكَيْفَ بِمَاشٍ أَسْتَقِيمُ وَيَظْلَعُ؟[٤٢]

وَمَـا وَاثِـقٌ بِالـدَّهْرِ إِلَّا كَرَاقِـدٍ عَلَى فَضْلِ ثَوْبِ الظِّلِّ وَالظِّلُّ يُسْرِعُ

وَقَالُوا: تَعَلَّلْ، إِنَّمَا الْعَيْشُ نَوْمَةٌ تُقَضَّى وَيَمْضِي طَارِقُ الْهَمِّ أَجْمَعُ

وَلَـوْ كَـانَ نَوْمًـا سَـاكِنًا لَحَمِدْتُـهُ وَلَكِنَّــهُ نَــوْمٌ مَــرُوعٌ مُفَــزَّعُ

سياسة الدنيا [الشريف]

قِفْ مَوْقِفَ الشَّكِّ لَا يَأْسٌ وَلَا طَمَعُ وَغَالِطِ الْعَيْشَ لَا صَبْرٌ وَلَا جَزَعُ

وَخَادِعِ الْقَلْبَ لَا يُودِ الْغَلِيلُ بِهِ إِنْ كَانَ قَلْبٌ عَنِ الْمَاضِينَ يَنْخَدِعُ

وَكَاذِبِ النَّفْسَ يَمْتَدَّ الرَّجَاءُ لَهَا إِنَّ الرَّجَاءَ بِصِدْقِ النَّفْسِ يَنْقَطِعُ

وجوه [الشريف]

صُقِلَتْ نُصُولُ خُدُودِهِمْ بِيَدِ الصِّبَا مُرْدُ العَوَارِضِ فِي زَمَانٍ أَمْرَدِ

تَسْتَنْبِطُ الْأَلْحَاظُ مَاءَ وُجُوهِهِمْ فَيَكَادُ يَنْقَعُ مِنْ غَضَارَتِهَا الصَّدِي

---

(٤٢) يظلع: أي يعرج.

صور، أو «رثاء أم» [الشريف]

كَـمْ آمِـرٍ لِـي بِالتَّصَـبُّرِ هَـاجَ لِـي ... دَاءً، وَقَـــدَّرَ أَنَّ ذَاكَ دَوَائِـــي

آوِي إِلَــى بَــرْدِ الظِّــلَالِ كَــأَنَّنِي ... لِتَحَرُّقِـــي آوِي إِلَـــى الرَّمْضَـــاءِ

وَأَهُــبُّ مِــنْ طِيــبِ الْمَنَـامِ تَفَزُّعًـا ... فَـزَعَ اللَّـدِيغِ نَبَـا عَـنِ الْإِغْفَـاءِ

لَهَفِي عَلَى الْقَـوْمِ الْأُلَى غَـادَرْتُهُمْ ... وَعَلَـــيْهِمُ طَبَـــقٌ مِـــنَ الْبَيْـــدَاءِ

مُتَوَسِّـدِينَ علَـى الْخُـدُودِ كَـأَنَّهُمْ ... كَرَعُـوا عَلَـى ظَمَـإٍ مِـنَ الصَّـهْبَاءِ

صُوَرٌ ضَنَنْتُ عَلَى الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا ... أَمْسَـيْتُ أُوقِرُهَـا مِـنَ الْبَوْغَـاءِ(٤٣)

وَنَــوَاظِرٌ كَحَـلَ التُّــرَابُ جُفُونَهَـا ... قَـدْ كُنْـتُ أَحْرُسُـهَا مِـنَ الْأَقْـذَاءِ

قَرُبَــتْ ضَـرَائِحُهُمْ عَلَـى زُوَّارِهِـمْ ... وَنَــأَوْا عَــنِ الطُّــلَّابِ أَيَّ تَنَـاءِ

وَلَبِـئْسَ مَـا تَلْقَـى بِعُقْـرِ دِيَـارِهِمْ ... أُذُنُ المُصِـيخِ بِهَـا وَعَـينُ الرَّائِـي

لَـوْ كَـانَ يُبْلِغُـكِ الصَّـفِيحُ رَسَائِلِي ... أَوْ كَـانَ يُسْـمِعُكِ التُّـرَابُ نِـدَائِي

فَسَـمِعْتِ طُـولَ تَـأَوُّهِي وَتَفَجُّعِـي ... وَعَلِمْـتِ حُسْـنَ رِعَـايَتِي وَوَفَـائِي

كَانَ ارْتِكَاضِي فِي حَشَاكِ مُسَبِّبًا ... رَكْضَ الْغَلِيلِ عَلَيْـكِ فِي أَحْشَائِي

مفتاح الدولة [إنجليزية «من أغاني المرضعات»]

إِلَيْكَ مِفْتَاحُ الدَّوْلَةِ

فِي الدَّوْلَةِ مَدِينَةٌ، وَفِي الْمَدِينَةِ قَرْيَةٌ

وَفِي الْقَرْيَةِ طَرِيقٌ، وَمِنَ الطَّرِيقِ يَلْتَوِي زُقَاقٌ

---

(٤٣) أي أثقلها بالتراب الرخو.

وَعِنْدَ الزُّقَاقِ فِنَاءٌ، وَفِي ذَلِكَ الْفِنَاءِ دَارٌ
وَتَدُورُ الدَّارُ عَلَى حُجْرَةٍ، وَفِي الْحُجْرَةِ سَرِيرٌ
وَعَلَى السَّرِيرِ سَلَّةٌ مِنْ زَهْرٍ جَمِيلٍ
مِنَ الزَّهْرِ. مِنَ الزَّهْرِ
سَلَّةٌ مِنَ الزَّهْرِ الْجَمِيلِ

* * *

زَهْرٌ جَمِيلٌ فِي سَلَّةٍ، وَسَلَّةٌ عَلَى سَرِيرٍ
وَسَرِيرٌ فِي حُجْرَةٍ، وَحُجْرَةٌ فِي دَارٍ
وَدَارٌ فِي زُقَاقٍ، وَزُقَاقٌ فِي طَرِيقٍ عَرِيضٍ
وَطَرِيقٌ عَرِيضٌ فِي قَرْيَةٍ، وَقَرْيَةٌ فِي مَدِينَةٍ عَامِرَةٍ
وَمَدِينَةٌ عَامِرَةٌ فِي دَولَةٍ
إِلَيْكَ مِفْتَاحُ الدَّوْلَةِ
مِنَ الدَّوْلَةِ ذَاكَ هُوَ الْمِفْتَاحُ.

إلى السُّوق أول مرة [هوسمان][٤٤]

يَوْمَ أَنْشَأْتُ أَذْهَبُ إِلَى الْأَسْوَاقِ، أَوَائِلَ عَهْدِي بِالْأَسْوَاقِ
كَانَتِ الدَّرَاهِمُ فِي الْكِيسِ جِدَّ قَلِيلٍ

---

(٤٤) **Housman Laurenee** شاعر إنجليزي حديث، ومصور رسوم، وله روايات وقصص، وشعره أشهر من نثره.

وَكَمْ طَالَ بِيَ النَّظَرُ، وَكَمْ طَالَ بِيَ الْوُقُوفُ
عَلَى أَشْيَاءَ فِي السُّوقِ لَا تُنَالُ

* * *

تَغَيَّرَ الزَّمَنُ الْيَوْمَ، فَلَوْ أَرَدْتُ الشِّرَاءَ لَاشْتَرَيْتُ
هُنَا الدَّرَاهِمُ فِي الْكِيسِ، وَهُنَاكَ أَشْيَاءُ الْأَمْسِ فِي السُّوقِ
وَلَكِنْ أَيْنَ يَا تُرَى ذَلِكَ الْفَتَى الْمَحْرُومُ؟
طَالَمَا شَكَا قَلْبُ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّ «اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ، أَرْبَعَةٌ»
لَا هِيَ ثَلَاثَةٌ كَمَا نَوَدُّهَا حِينًا، وَلَا هِيَ خَمْسَةٌ كَمَا نَوَدُّهَا بَعْدَ حِينٍ
وَأَحْسَبُهُ سَيَشْكُو إِلَى آخِرِ الْأَزْمَانِ.

كلهم سيسيفوس! [شارل ماكي]

... في أساطير اليونان الأقدمين أنَّ سيسيفوس **Sisyphus** كان مَلكًا لكوزنتة وهو الذي أسَّسها وعمَّرها، ولكنه كان مشهورًا بالمكر والمداورة، فقضى عليه الأرباب بسكنى الجحيم، وفرضوا عليه من ألوان العذاب أن يظلَّ أبدًا في العالم الأسفل موكلًا بصخرةٍ عظيمةٍ يرفعُها إلى أعلى الجبل، ثم تتدحرَجُ منه إلى قرار الوادي، فيعود إلى رفعها كرَّةً أُخرى. وهكذا إلى غيرِ انتهاء كأنَّه المعني بقول أبي العلاء:

تَعَبٌ غَيْرُ نَافِعٍ وَاجْتِهَادٌ   لَا يُؤَدِّي إِلَى غَنَاءِ اجْتِهَادِ

«وقد نظم الشاعر الإنجليزي ماكي(٤٥) هذه القصيدة ليقولَ: إن الناس

(٤٥) **Charles Mackay** شاعر وصحفي ومؤرخ، وله أغانٍ شائقةٍ تدعو إلى المَرَحِ والاستخفاف

كلهم في جهود الحياة الباطلة صورة من سيسفوس، بل كل عامل – عاقل أو غير عاقل – في هذه الدنيا فهو على هذه الوتيرة.»

أَبَدًا، وَبَعْدَ الْأَبَدِ آبَادٌ
عَلَى مَزْلَقَةِ شَطِّ الْحَيَاةِ
فَوْقَ غَيَابَةِ الْمَوْتِ السَّوْدَاءِ
يَنْهَضُ إِلَى الْقِمَّةِ بِصَخْرَتِهِ الْكَئُودِ
ثُمَّ تَهْوِي بِهِ إِلَى الْقَاعِ مِنْ جَدِيدِ
عَبَثًا ... عَبَثًا

* * *

وَلَقَدْ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ
يَسْأَلُهَا الْعَفْوَ وَالْمُعَافَاةَ
مِنْ ذَلِكَ الْأَلَمِ الْمِلْحَاحِ
فَتُومِئُ النُّجُومُ مِنْ عَلْيَائِهَا حَزَانَى
وَتَرْمُقُهُ الشَّمْسُ كَالْغَضْبَى
عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

وَتِلْكَ الْأُمُّ الرَّءُومُ

بأعباء الحياة (١٨١٤–١٨٨٩).

تِلْكَ الْأَرْضُ الذَّكُورُ وَمَا نَسِيَتْ أَنَّهَا وَضَعَتْهُ مِنْ أَحْشَائِهَا

لَاَ تَأْنَفُ مِنْ عَطْفٍ عَلَيْهِ

وَهُوَ نَهِيكُ الْقَلْبِ وَالْأَعْضَاءِ

عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

أَلَيْسَ قَضَاؤُهُ قَضَاءَهَا؟

أَلَا تَدُورُ بِصَخْرَةِ الْعَنَاءِ كَمَا يَدُورُ؟

أَلَيْسَ بَلَاؤُهُ الْوَاصِبُ

هُوَ بَلَاءَ أَبْنَائِهَا أَجْمَعِينَ؟

عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

أَلَيْسَتِ الْأَرْضُ وَالْبِحَارُ

تُعِيدُ جُهْدَهَا الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ

وَتَنْفُثُ بِالنُّوَاحِ الْقَدِيمِ الْأَلِيمِ

مُمْتَزِجًا بِأَصْدَاءِ بَنِي آدَمَ

عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

خِلَالَ أَقْبَاءِ الْغَابِ

تَجْرِي الرِّيَاحُ فِي أَشْوَاطِهَا

مُعْوِلَاتٍ نَائِحَاتٍ!

وَالسَّيْلُ عَلَى الْوِهَادِ الْعَالِيَاتِ

يَئِنُّ لِلَّيلِ فِي قُرَّتِهِ الْجَوْفَاءِ

عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

وَالْمَوْجُ الْمَبْحُوحُ الرَّتِيبُ

يَنْسَجِمُ مِنْ أَغْوَارِهِ جَمْعَاءَ

وَمَعَهُ الزَّوَابِعُ وَالْغُيُوثُ

فِي صَيْحَةٍ مَحْزُونَةٍ شَجْوَاءَ

لِلْأَرْضِ الْمُصِيخَةِ وَالسَّمَاءِ الْمُصْغِيَةِ

عَبَثًا ... عَبَثًا!

* * *

الْحُبُّ يَنْعَى أَجَلَهُ الْبَاكِرَ

الرَّجَاءُ يَنْعَى وَهْمَهُ الضَّائِعَ

أَوْ طَيْفَهُ الذَّبِيحَ

وَالْمَالُ وَالصَّوْلَةُ يُطِيلَانِ

مَدَّ النَّغَمِ الْأَبَدِيِّ الْعَقِيمِ

عَبَثًا ... عَبَثًا

* * *

صَعَادِ سِيسْفُوسُ صَعَادِ
أَنْتَ عَدِيدٌ، وَإِنْ قِيلَ وَحِيدٌ
صَعَادِ بِالرَّأْسِ وَالْفُؤَادِ
فَرِيدًا وَحْدَكَ وَمَثَلًا لَهُمْ أَجْمَعِينَ
تُعَالِجُ الصَّخْرَةَ الْمُخِيفَةَ
عَبَثًا ... عَبَثًا.

أخذ وعطاء [باكس كليفورد][٤٦]

يَـا رُوحُ رُوحِـي، كُـلُّ شَـيْءٍ لَـكِ   حَتَّـى غَرَامِـي هُـوَ مِـنْ فَضْـلِكِ
مَـا كَـانَ إِلَّا ظِـلَّ حُسْـنٍ سَـرَى   مِنْـكِ، فَعَـاشَ الْقَلْـبُ فِـي ظِلِّـكِ
حُسْـنُكِ يُمْسِـي لِـي جَمِيعًـا إِذَا   لَمَسْـتُ ذَاكَ الثَّغْرَ. لَهَفِي عَلَيْـكْ!
وَكُلَّمَـــا حَوَّلْتُــــهُ فَرْحَـــةً   عَـادَ مَـعَ الْفَرْحَـةِ مِنِّـي إِلَيْـكْ

مفردات ومثاني للسميسر[٤٧]

لا يداوي نفسه

حِسِّـــي صَـــحِيحٌ وَلَكِـــنْ   هَـــوَايَ يُـــوهِنُ حِسِّـــي
قَـــدْ صَـــحَّ رَأْيِـــي لِغَيْـــرِي   وَلَـــمْ يَصِـــحَّ لِنَفْسِـــي

---

(٤٦) **Bax Clifford** من شعراء الإنجليز المحدثين، ومن مدرسَةٍ خاصَّةٍ تجمعُ بين الغناء والنزعة الصوفية، والترجمة العربية نظم صاحب المجموعة.

(٤٧) هو أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر، ظهر بالمغرب في القرن الخامس، وشعره في المقطوعات سائغٌ وفي المطوَّلاتِ ضعيفٌ.

برق في ظلام

لَا تَغُرَّنَّـــــــــكَ الْحَيَـــــــا ةُ فَمَوْجُودُهَـــــــا عَـــــــدَمْ
لَـــيْسَ فِـــي الْبَـــرْقِ مُتْعَـــةٌ لِامْـــرِئٍ يَخْـــبِطُ الظَّلَـــمْ

تصحيف

لَـيْسَ يَخْلُـو الْمَـرْءُ مِـنْ هَـمْ بِاكْتِسَـــابِ اللَّحْـــمِ وَالـــدَّمْ
حَيَــــــــوَانٌ حَيْـــــــرَانُ صَـــحِّفُوهُ، فَهْـــوَ أَقْـــوَمْ

حصن مهلك

يَبْنِـــي عَلَـــى نَفْسِـــهِ سَـــفَاهًا كَأَنَّـــــهُ دُودَةُ الْحَرِيـــــــرِ

اللسان!

لَا تُوقِــــــدَنَّ عَـــــدُوًّا وَأَطْفِـــــــهِ بِـــــــالتَّوَدُّدْ
فَالنَّـــــارُ بِـــــالْفَمِ تُطْفَـــى وَالنَّـــــارُ بـــــالْفَمِ تُوقَـــــدْ

ذلان

الْمَـــــــــــــالُ ذُلٌّ وَذُلٌّ أَلَّا يُـــــرَى لَـــــكَ مَـــــالُ
فَـــــاحْرِصْ كَأَنَّـــــكَ بَـــــاقٍ فَمَـــا لِـــذِي الْفَقْـــرِ حَـــالُ

الطب والشريعة

مَـــــا الطِّـــــبُّ لِلـــــدِّينِ إِلَّا كَـــــــالرُّوحِ لِلْجُثْمَـــــــانِ
هَـــــــــلِ الشَّـــــــــرِيعَةُ إِلَّا بِصِـــــــــحَّةِ الْأَبْـــــــــدَانِ

يبغض الشعراء

إِنِّـــي أُحِـــبُّ الشِّـــعْرَ لَكِنَّنِـــي أُبْغِــضُ أَهْــلَ الشِّــعْرِ بِــالْفِطْرَهْ

فَلَسْــتَ تَلْقَــى رَجُــلًا شَــاعِرًا   إِلَّا وَفِيـــــهِ خَلَّـــــةٌ تُكْـــــرَهْ

إلا جنسًا

تَحَفَّــظْ مِــنْ ثِيَابِــكَ ثُــمَّ صُــنْهَا   وَإِلَّا سَـــوْفَ تَلْبَسُـــهَا حِـــدَادَا

وَظُـــنَّ بِسَـــائِرِ الْأَجْنَـــاسِ خَيْـــرًا   وَأَمَّـــا جِـــــنْسُ آدَمَ فَالْبِعَـــادَا

في غير الليلة! [لورنس هوب](٤٨)

لَا ... غَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ!

إِنَّ الْمَطَرَ يَقْطُرُ حَزِينًا وَانِيًا ...

عَبَرَاتُ أَسًى تَحْتَ سَمَاءٍ شَجِيَّةٍ

وَعَلَى الْبُعْدِ «ابْنُ آوِي» هَزِيْلٌ خَافِتُ الْعُوَاءِ

يَزِيدُ الْغَسَقَ وَحْشَةً وَعُزْلَةً

* * *

النَّهْرُ الدَّافِقُ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْبَحْرِ بِهَمْهَمَةِ الشَّكْوَى

وَالظِّلَالُ تَأْوِي إِلَيْهَا الْوَسَاوِسَ الْخَفِيَّةَ

وَعَيْنَايَ تَرْنُوَانِ نَحْوَ عَيْنَيْكِ، ابْتِغَاءَ عَزَاءٍ

فَتَلْقَاهُمَا الْأَهْدَابُ مُبَلَّلَةً بِالدُّمُوعِ

* * *

(٤٨) **Laurence Hope** اسم قلمي لشاعرة إنجليزية مُعاصرة تأثَّرت بمذاهب الهند، ونظمت دواوين شتَّى في الموضوعات الشرقية، ومنها ديوان الغرام الهندي الذي اخترنا منه هذه القصيدة.

إِنَّ الرُّوحَ الْهَائِمَةَ عَلَى أَعْتَابِ الدُّنْيَا تَسْتَجِدُّ فِيهَا جُثْمَانَهَا
إِنْ دَخَلَتْ مِنْ خِلَالِ قُبُلَاتِنَا إِلَى حَظِيرَةِ الْحَيَاةِ
وَرِثَتْ كُلَّ مَا في قُلُوبِنَا مِنْ أَسًى
وَكُلَّ مَا فِي الْمَطَرِ الْمُنْحَدِرِ مِنْ شَجَنٍ مَكْظُومٍ

* * *

لَا. حِينَ تَشْتَهِي اسْتِجَابَةَ الْحُبِّ الْكُبْرَى
أَقْبِلْ إِلَيَّ وَالصَّبَاحُ يَرْتَعُ فِي الْأَنْوَارِ
وَالْبَلَابِلُ مِنْ حَوْلِنَا مَشُوقَةٌ تَصْدَحُ بِالْغِنَاءِ
بَيْنَ الْوُرُودِ مِنْ حُمُرٍ وَبِيضٍ

* * *

وَكَذَاكَ حَيْثُ يَقْضِي اللَّهُ لِي تِلْكَ الْفَرِيضَةَ الْحُلْوَةَ الْقُدْسِيَّةَ
مُذْعِنَةً لِمَشِيئَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ
كَيْ أَمْنَحَ الدُّنْيَا صُورَةً مِنْ جَمَالِكَ
لَأُسَلِّمَنَّهَا إِذَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَمَعَهَا فَرَحِي فِيكَ

* * *

لَيْسَ بِي يَا حَبِيبِي أَنْ أَكْتُمَكَ أَمْرًا
أَلَسْتَ وَشِيكًا أَنْ تَلْمَسَ الْخِدَاعَ فِي ذَلِكَ الْعِنَاقِ؟
آهٍ. عَلَى هَذَا لَا قِبَلَ لِي بِنَأْيِكَ. فَلَا تَنْصَرِفْ عَنِّي

إِنَّ رُوحِي تَهَبُ لَكَ عُزْلَتَهَا، فَاقْتَسِمْهَا وَخُذْ نَصِيبَكَ مِنْهَا

* * *

دَعْ شُعَاعَ النُّجُومِ حِينَ يَتَفَرَّقُ السَّحَابُ الْوَئِيدُ

يُفَضْفِضُ مُحَيَّاكَ فِي تَمَامِهِ

إِنَّهُمْ لَلْقِدِّيسُونَ مَنْ لَهُمْ نَظَائِرُ تِلْكَ الْوُجُوهِ

عَجَبِي لِهَذَا الْوَجْهِ ... يَنْشُدُ فِي فُؤَادِي مَلَاذَهُ وَمَأْوَاهُ.

فن التوليد [تيوجنيس](٤٩)

الْحَمَلُ، وَالْحِمَارُ، وَالْحِصَانُ ... كُلُّهَا يَا صَدِيقِي كِيرْنُوسُ

خَلَائِقُ نُعْنَى بِهَا، وَنَخْتَارُ لَهَا الْأَزْوَاجَ الْأَصَائِلَ

صِيَانَةً لِذُرِّيَّتِهَا

لَكِنَّ الرِّجَالَ يَا صَدِيقِي لَا يَسْأَلُونَ

وَلَا يَتَّقُونَ «خَضْرَاءَ الدِّمَنِ» مِنْ أَجْلِ الْمَالِ

وَكَذَلِكَ كَرَائِمُ النِّسَاءِ يَبْذُلْنَ أَنْفُسَهُنَّ

وَيُؤْثِرْنَ الْأَغْنَى عَلَى الْأَفْضَلِ الْأَذْكَى مِنَ الرِّجَالِ

الْمَالُ. الْمَالُ ... هُوَ الصَّيْحَةُ مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ

فَكَمْ خَلَطَ الْمَالُ مِنْ عِرْقٍ كَرِيمٍ بِعِرْقٍ لَئِيمٍ، وَعِرْقٍ لَئِيمٍ بِعِرْقٍ كَرِيمٍ

حَتَّى شِيبَتْ نَقَاوَةُ الدُّنْيَا جَمِيعًا

---

(٤٩) Theognis شاعر يوناني في القرن السادس قبل الميلاد.

فَلَا جَرَمَ تَسَفُّلُ سُلَالَةِ الْقَوْمِ الْعَلِيَّةِ

فَهْيَ مَعْدَنٌ مَزْغُولٌ مُنْطَفِئُ الْبَرِيقِ.

يصلي بشرط! [أبو الحسن الأفريقي][٥٠]

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ حَلِيلَتِي — فَقُلْتُ: اغْرُبِي عَنْ نَاظِرِي. أَنْتِ طَالِقُ!

فَوَاللهِ، لَا صَلَّيْتُ لِلهِ مُفْلِسًا ... — يُصَلِّي لَهُ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ وَفَائِقُ

وَنَاشٌ، وَبِكْتَاشٌ، وَكِنْبَاشُ بَعْدَهُ — وَنَصْرُ بْنُ مُلْكٍ، وَالشُّيُوخُ الْبَطَارِقُ

وَصَاحِبُ جَيْشِ الْمَشْرِقَيْنِ الَّذِي لَهُ — سَرَادِيبُ مَالٍ حَشْوُهَا مُتَضَايِقُ

لِمَاذَا أُصَلِّي؟ أَيْنَ بَاعِي وَمَنْزِلِي — وَأَيْنَ خُيُولِي؟ وَالْحُلَى وَالْمَنَاطِقُ؟

وَأَيْنَ عَبِيدِي كَالْبُدُورِ وُجُوهُهُمْ — وَأَيْنَ جَوَارِيَّ الْحِسَانُ الْعَوَاتِقُ

أُصَلِّي وَلَا فِترٌ مِنَ الْأَرْضِ فِي يَدِي — وَلَا فِي رَجَائِي، إِنَّنِي لَمُنَافِقُ!

في رثاء ركن الدولة [أبو بكر الخوارزمي]

طَوَى الْحَسَنَ بْنَ بُوَيْهِ الرَّدَى — أَيَدْرِي الرَّدَى أَيَّ جَيْشٍ هَزَمْ

طَوِيلُ الْقَنَاةِ، قَصِيرُ الْعِدَاتِ — ذَمِيمُ الْعُدَاةِ، حَمِيدُ الشِّيَمْ

فَصِيحُ اللِّسَانِ، بَدِيعُ الْبَنَانِ — رَفِيعُ السِّنَانِ، سَرِيعُ الْقَلَمْ

يَكِيلُ الرِّجَالَ بِأَقْدَارِهَا — وَيَرْعَى الْبُيُوتَاتِ رَعْيَ الْحُرَمْ

جَوَادٌ عَلَيْهِمْ، بَخِيلٌ بِهِمْ — إِذَا سَاءَ خَصَّ، وَإِن سَرَّ عَمْ

إِذَا كَانَ يُبْكِي الْوَرَى بِالدُّمُوعِ — وَيُبْكَى بِهِنَّ؟ فَأَيْنَ الْقِيَمْ؟

---

(٥٠) أبو الحسن محمد بن أحمد الأفريقي من شُعراءِ بُخارى في أواخرِ القرنِ الرَّابع، وكان يتعاطى الطب والتنجيم والفلسفة والأدب، ولا يجدُ الكفاية من رزقه على كثرة صناعاته!

القاهرة قبل ألف سنة [إبراهيم بن القاسم][٥١]

هَلِ الرِّيحُ إِنْ سَارَتْ مُشَرِّقَةً تَسْرِي مُؤَدِّيَـةً عَنِّـي السَّـلَامَ إِلَـى مِصْـرِ؟
فَمَـا خَطَـرَتْ إِلَّا بَكَيْـتُ صَـبَابَةً وَحَمَّلْتُهَا مَا ضَاقَ عَنْ حَمْلِهِ صَدْرِي
وَمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ خَلَا الْعَهْدُ دُونَهُ فَلَيْسَ بِخَالٍ مِنْ ضَمِيرِي وَلَا فِكْرِي
لَيَـالٍ أَنِسْـنَاهَا عَلَـى غِـرَّةِ الصِّـبَا فَطَابَتْ لَنَا، إِذْ وَافَقَتْ غُرَّةَ الدَّهْرِ
لَعَمْـرِي لَـئِنْ كَانَـتْ قِصَـارًا أَعُـدُّهَا فَلَسْـتُ بِمُعْتَـدٍّ سِـوَاهَا مِـنَ الْعُمْـرِ
فَكَـمْ لِـيَ بِـالْأَهْرَامِ أَوْ دِيرِ «نُهْيَـةٍ» مَصَـائِدُ غِـزْلَانٍ هُنَالِـكَ فِـي الْقَفْـرِ
إِلَى الْجِيزَةِ الدُّنْيَا وَمَا قَدْ تَضَـمَّنَتْ جَزِيرَتُهَـا ذَاتُ الْمَـوَاخِيرِ وَالْجِسْـرِ
وَبِـالْمَقْسِ فَالْبُسْـتَانِ لِلْعَـيْنِ مَنْظَـرٌ أَنِيقٌ إِلَى شَطِّ الْخَلِيجِ، إِلَى الْقَصْرِ
وَكَـمْ بَـيْنَ بُسْـتَانِ الْأَمِيـرِ وَقَصْـرِهِ إِلَى الْبِرْكَـةِ الزَّهْـرَاءِ مِنْ زَهَـرٍ نَضْـرِ
نَرَاهَـا كَمِـرْآةٍ بَـدَتْ فِـي رَفَـارِفٍ مِنَ السُّنْدُسِ الْمَوْشِيِّ يُنشَرُ لِلتَّجْرِ
وَكَمْ بِتُّ فِي دَيْرِ الْقَصِيرِ مُوَاصِلًا نَهَـارِي بِلَيْلِي لَا أُفِيقُ مِـنَ السُّكْرِ
تُبَـادِرُنِي بِـالرَّاحِ بِكْـرٌ غَرِيـرَةٌ إِذَا هَتَفَ النَّاقُوسُ فِي غُرَّةِ الْفَجْرِ
وَكَـمْ لَيْلَـةٍ لِـي بِالْقَرَافَـةِ خِلْتُهَـا لِمَـا نِلْـتُ مِـنْ لَـذَّاتِهَا لَيْلَـةَ الْقَـدْرِ
سَقَى اللهُ صَوْبَ الْقَصْرِ تِلْكَ مَغَانِيًا وَإِنْ غَنِيَتْ بِالنِّيلِ عَنْ سُبُلِ الْقَطْرِ

ثوب رديد [توماس هاردي][٥٢]

هَا هِيَ ذِي مُعَلَّقَةٌ فِي ضِيَاءِ النَّهَارِ عَلَى بَابِ دُكَّانِ الرُّهُونِ
كِسْوَةٌ قَدْ سَامَتِ اللَّهْوَ سَوْمَهُ، وَعَمِلَتْ عَمَلَهَا فِيمَا مَضَى

---

(٥١) إبراهيم بن القاسم يُعرف بالرَّقيق القيرواني، وكان معنيًّا بعلم الأخبار، وقدم إلى مصر في سنة ٣٨٨ للهجرة.

(٥٢) Thomas Hardy شاعر، قاص، مهندس، إنجليزي، يميلُ في شعره وقصته إلى السخر والتشاؤم والكشف عن ضعف الإنسان وقلة احتياله بين يدي الأقدار، ولعلَّه أكبر شُعراء أوربا جميعًا في أوائل القرن العشرين (١٨٤٠–١٩٢٨).

وَعَلَى سِيمَاهَا دَلَالَاتُ الْخِبْرَةِ بِمَكَاسِرِ الرَّقْصِ وَمَثَانِيهِ
فَمَاذَا رَأَتْ لَعَلَّهَا؟ وَمَا هِيَ قَائِلَةٌ عَسَاهَا؟ لَوْ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ الْمَقَالَ

* * *

عَلَى الْكُمِّ مَا تَزَالُ غَبَرَةٌ مِنْ مَسَاحِيقَ، مَمْسُوحَةٌ بِالذِّرَاعِ
فِي سَاعَةٍ هَامَ هُيَامَ الْحَسْنَاءِ، وَعَلَتْ طِبَاقَهَا مَعَ الْأَنْغَامِ!
وَسَرَتْ فِي مَحَاسِنِهَا الْحَيَاةُ، أَوْ فِي مَحَاسِنِهِنَّ عَلَى الْأَحْرَى
وَكَائِنٌ هُنَاكَ مِنْ طَلْعَةٍ مَلِيحَةٍ قَدِ اسْتَنَدَتْ إِلَيْهَا لَا مِرَاءَ
وَقَدْ أَبْقَتْ ثَمَّةَ بَقَايَاهَا الْوَاشِيَةِ، وَهْوَ يُمْعِنْ بِهِنَّ فِي الدَّوَرَانِ

* * *

تَفْصِيلُهَا وَلَا نُكْرَانَ نَمَطٌ كَأَنَّهُ غَيْرُ حَدِيثٍ، وَأَنْتَ تَتَأَمَّلُهَا مِنْ قَرِيبٍ
فَهْيَ قَدْ طَالَ عَلَيْهَا الْعَهْدُ بِالْمَرَاقِصِ وَالسَّهَرَاتِ
لَكِنَّهَا عَلَى الْعِلَّاتِ قَدْ تَلَقَّتْ فِي أَحْضَانِهَا شَرِيكَاتٍ أَنِيقَاتٍ
طَالَمَا جَاوَبْنَ لَابِسَ الْكِسْوَةِ بِالتَّأْمِينِ، مِنْ لِسَانٍ عَذْبٍ حَنُونٍ

* * *

أَيْنَ السَّيِّدُ الْآنَ وَا أَسَفَاهُ؟
السَّيِّدُ الَّذِي تَجَمَّلَ بِهَذَا الْكِسَاءِ
وَأَيْنَ السَّيِّدَاتُ؟ وَأَيْنَ الزَّمِيلَاتُ؟
مَا مِنْ أَحَدٍ يَقُولُ: فَلِسَانُ الْوِشَايَةِ هُنَا كَتُومٌ

مِنْهُنَّ مَنْ نَسِيَتْ فَلَا يَمُرُّ لَهَا عَلَى بَالٍ – أُولَئِكَ اللَّاتي غَبَّرْنَ كُمَّيْهِ!
وَمِنْهُنَّ مَنْ عَلَى بَالِهَا لَيْلَةٌ هُوْجَاءُ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ
تَذْكُرُهَا وَلَهَا حَسَرَاتٌ!

طفلان [هارولد منرو](٥٣)

خَرَجَ الطِّفْلُ الْمُقَدَّسُ مِنْ جَانِبِ أُمِّهِ فِي بَرْدِ النَّهَارِ
يَعْدُو عَلَى حُقُولٍ جَفَّتْ مِنْ وَهَجِ الشَّمْسِ، وَبَيْنَ شَجَرَاتٍ مِنَ الزَّيْتُونِ
يَلْتَمِعْنَ زَاهِيَاتٍ مُورِقَاتٍ، بَيْنَ الْخَضْرَاءِ مِنْهُنَّ وَالشَّهْبَاءِ

* * *

لَا رِكْزَ وَلَا نَغَمَ
وَلَا هَمْسَةً مِنْ رَقْرَقَةِ جَدْوَلٍ يَجْرِي
فَوَا رَحْمَتَا لِلطِّفْلِ الْبَرِيءِ! وَدَّ لَوْ لَعِبَ وَغَنَّى
وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يَحْلُمَ وَيَتَنَهَّدَ

* * *

وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ
أَقْبَلَ عَارِيًا فِي عَقَائِصِ شَعْرِهِ
عَدْوًا، عَدْوًا، مِنْ بَعِيدٍ ...

---

(٥٣) **Harold Monro** (١٨٧٩–١٩٣٢) أنشأ «مكتبة الشعر» هو وزوجته سنة ١٩١٢ وكان له أثرٌ ظاهرٌ في بعث العناية بالشعر ونقده بالبلاد الإنجليزية.

ذَلِكَ الخَبِيثُ مِنْ نَسْلِ الدُّنْيَا الشَّهِيَّةِ
ذَلِكَ الطِّفْلُ الْجَمِيلُ، الَّذِي وَلَدَتْهُ عَذْرَاءُ أُخْرَى
هِيَ الزُّهَرَةُ ... «رَبَّةُ الْهَوَى وَالْجَمَالِ»

* * *

نَظَرَ الطِّفْلُ الْمُقَدَّسُ إِلَيْهِ!
بِالْعَيْنَيْنِ الزَّرْقَاوَيْنِ الْمَحْزُونَتَيْنِ، وَمَا بِهِمَا مِنْ خَفَاءٍ
فَوَقَفَ «كُوبِيدُ» الْوَقَاحُ يَلْهَثُ تَعَبًا
وَفِي يَدِهِ الْقَوْسُ يُومِئُ بِهَا، وَالسَّهْمُ يَقْبِضُ عَلَيْهِ

* * *

وَهَتَفَ هَاتِفٌ: هَلُمَّ عِيسَى! ... أَلَكَ فِي اللَّعِبِ؟
إِلَيْهِ إِلَيْهِ ... لِتَفْعَمَ بِالْفَرْحَةِ صُدُورُنَا
أَلَا تَرَاهُ فِي الْقَدَاسَةِ نِدًّا؟ أَخَائِفٌ أَنْتَ مِنْ قَوْسِهِ وَسِهَامِهِ؟
أَيُّهَا الطِّفْلُ الْحَالِمُ الْجَمِيلُ؟

* * *

ثُمَّ تَقَابَلَا ...
كِلَاهُمَا يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ نَظْرَةً طَوِيلَةً خَجْلَى
... وَالصِّبَا الْتَقَى بِالصِّبَا فِي سَاحَةِ الْغَابِ
وَلَكِنَّ الْقَدَاسَةَ لَا تَحِيدُ عَنْ سُنَّةِ الْحُزْنِ الدَّفِينَ

* * *

وَمَضَتْ هُنَيْهَةٌ ...!

فَانْطَلَقَ سَهْمٌ مِنْ قَوْسِ كُوبِيدِ

وَابْتَسَمَتِ الدُّنْيَا الْحَزِينَةُ لَحْظَةً

وَإِذَا السَّهْمُ يَنْفُذُ فِي الْبَشَرَةِ الْبَيْضَاءِ

وَإِذَا الدَّمُ يَقْطُرُ مِنَ الْقَلْبِ الْجَرِيحِ

* * *

وَمَرِحَ كُوبِيدُ! ...

وَنَفَضَ حَلَقَاتِ شَعْرِهِ وَتَدَانَى

وَإِذَا الطِّفْلُ الَّذِي وُلِدَ لِلْعَذَابِ

قَدْ فَاضَتْ عَلَى خَدِّهِ دَمْعَةُ إِشْفَاقٍ مَرْهُوبَةٍ

لِشَقَاءِ الْحَيَاةِ

* * *

أَذَاكَ حُلْمٌ مُرَوِّعٌ؟ أَتِلْكَ غَاشِيَةٌ دَاجِيَةٌ؟

إِنَّ كُوبِيدَ لَيُسْلِمُ عِيسَى سِهَامَهُ يَتَفَرَّجُ بِهَا

وَيُعَالِجُهَا فِي يَدَيْهِ

وَإِنَّهُ لَيَنْزِلُ لَهُ عَنْ قَوْسِهِ لَعِبًا

وَلَكِنَّ عِيسَى يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ بَاكِيًا

وَيَظَلُّ «كُوبِيدُ» يَعْجَبُ، وَلَا يَدْرِي!

كلمات «ورد غطائها»! [صفي الدين الحلي][٥٤]

قَالَـتْ: كَحَلْـتَ الْجُفُـونَ بالْوَسَـنِ ... قُلْـتُ: ارْتِقَابًـا لِطَيْفِـكِ الْحَسَـنِ
قَالَــتْ: تَسَــلَّيْتَ بَعْــدَ فُرْقَتِنَــا ... فَقُلْتُ: عَنْ مَسْكَنِي وَعَنْ سَكَنِي
قَالَــتْ: تَشَــاغَلْتَ عَــنْ مَحَبَّتِنَــا ... قُلْــتُ: نَعَــمْ، بِالْبُكَــاءِ وَالْحَــزَنِ!
قَالَتْ: تَخَلَّيْتَ؛ قُلْتُ: عَنْ جَلَدِي ... قَالَـتْ: تَغَيَّـرْتَ؛ قُلْتُ: فِي بَدَنِي
قَالَتْ: أَذَعْتَ الْأَسْرَارَ؛ قُلْتُ لَهَا: ... صَــيَّرَ سِــرِّي هَــوَاكِ كَــالْعَلَنِ
قَالَتْ: سَرَرْتَ الْأَعْدَاءَ. قُلْتُ لَهَا: ... ذَلِـكَ شَـيْءٌ لَـوْ شِـئْتُ لَـمْ يَكُـنِ
قَالَـتْ: فَمَـاذَا تَـرُومُ؟ قُلْـتُ لَهَـا: ... سَــاعَةَ سَـعْدٍ بِالْوَصْــلِ تُسْـعِدُنِي

ليل طويل [سيسيليا ميرلس][٥٥]

طَالَ اللَّيْلُ، وَهَدَأَ الْقَمَرُ، وَهَبَطَ الْمَدُّ، وَبَرَدَتِ الْجُدْرَانُ
فَامْضِ. وَامْضِ، وَسِرْ حَيْثُ تَرْمِي بِكَ قَدَمَاكَ
فَمَا بِالشَّاعِرِ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى مَأْوًى!

* * *

جَاوَزْتَ الْبَابَ الْأَخِيرَ، وَبَرَزْتَ إِلَى الْفَرَاغِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِيهِ
تَقَدَّمْ. تَقَدَّمْ، وَاخْبِطْ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ

---

(٥٤) صفي الدين أبو البركات عبد العزيز بن سرايا. وُلد بالعراق وقصد الأمراء من آل أرتق أصحاب ماردين، ثمَّ قصد مصر ومدح الملك الناصر وعاد آخر الأمر إلى العراق حيث مات، ويغلب على شعره ما يغلب على شعراء القرن الثامن من الكلف بالصناعة، ولكنه يجيد إذا أعفى قريحته من هذه الكلفة.

(٥٥) Cecilia Meireles شاعرة برازيلية معاصرة تشتغل بالتربية والأدب، وقد نالت الجائزة الأولى من أكادمي الآداب في البرازيل.

فَمَا بِالشَّاعِرِ فِي اللَّيْلَةِ السَّاجِيَةِ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رُقَادٍ

* * *

تَقَدَّمْ وَافْقِدْ خُطُوَاتِكَ فِي هَذَا اللَّيْلِ. إِنَّهُ هُوَ مِثْلُكَ مَفْقُودٌ

فَمَا بِالشَّاعِرِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَضَاءِ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى حَيَاةٍ

* * *

تَقَدَّمْ، وَسِرْ، مَا شَاءَ لِلَّيْلِ أَنْ يُخْلَقَ لِلسَّيْرِ فِيهِ

فَالشَّاعِرُ – وَلَا مُبَالَاةَ عِنْدَهُ – إِنَّمَا يَسِيرُ لِيَسِيرِ

وَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ.

مرض يستجمل

مَـاذَا يُرِيـدُ السَّـقَامُ مِـنْ قَمَـرٍ　　　كُـلُّ جَمَـالٍ لِوَجْهِـهِ تَبَـعُ

مَا يَرْتَجِي؟ خَابَ! مِنْ مَحَاسِنِهَا　　　أَمَـا لَـهُ فِـي الْقِبَـاحِ مُتَّسَـعُ؟

غَيَّـرَ مِـنْ لَوْنِهَـا وَصَـفَّرَهَا　　　فَارْتَـدَّ فِيـهِ الْجَمَـالُ وَالْبِـدَعُ

لَـوْ كَـانَ يَبْغِي الْفِـدَاءَ قُلْتُ لَـهُ:　　　هَـا أَنَـا دُونَ الْحَبِيـبِ يَـا وَجَـعُ

نومة قاتلة [سحيم][٥٦]

وَهَبَّـتْ شَـمَالٌ آخِـرَ اللَّيْـلِ قَـرَّةٌ　　　وَلَا ثَـوْبَ إِلَّا بُرْدُهَـا وَرِدَائِيَـا

تُوَسِّـدُنِي كَفًّـا وَتَحْنُـو بِمِعْصَـمٍ　　　عَلَـيَّ، وَتُلْقِـي رِجْلَهَـا مِـنْ وَرَائِيَـا

وَمَـا زَالَ بُـرْدِي طَيِّبًـا مِـنْ ثِيَابِهَـا　　　إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوبُ بَالِيَا

---

(٥٦) شاعر عبد تمثَّل النبي عليه السلام ببعض شعره في التوبة، وكانت له في وصف غزواته الغرامية أبيات من قبيل ما اخترناه له، سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأنذره: لتُقتلنَّ! وقد مات كما أنذره قتيلًا.

صداقة سهلة [أحمد بن محمد اليزيدي][٥٧]

إِنِّـــي امْـــرُؤٌ أَعْـــذُرُ إِخْـــوَانِي ... فِـــي تَـــرْكِهِمْ بِـــرِّي وَعِرْفَـــانِي

لِأَنَّنِــــي لَا لَهْـــوَ عِنْـــدِي وَلَا ... لِـــيَ الْيَـــوْمَ جَـــاهٌ عِنْـــدَ سُـــلْطَانِ

وَأَكْثَـــرُ الْإِخْـــوَانِ فِـــي دَهْرِنَـــا ... أَصْـــحَابُ تَمْيِيــــزٍ وَرُجْحَـــانِ

فَمَـــنْ أَتَـــانِي مُنْعِمًـــا مُفْضِـــلًا ... فَشُـــكْرُهُ عِنـــدِيَ شُـــكْرَانِ

وَمَـــنْ جَفَـــانِيَ لَـــمْ يَكُـــنْ لَوْمُـــهُ ... دَأْبِـــي، وَلَا تَعْنِيفُـــهُ شَـــانِي

أَعْفُـو عَـنِ السَّـيِّيءِ مِـنْ فِعْلِهِـمْ ... وَأُتْبِـــعُ الْحُسْـــنَى بِإِحْسَـــانِ

حَسْـــبُ صَـــدِيقِي أَنَّـــهُ وَاثِـــقٌ ... مِنِّـــي بِإِسْـــرَارِي وَإِعْلَانِـــي

خلائق رجل [هدبة بن الخشرم][٥٨]

تَحَفَّـظْ مِـنْ ثِيَابِـكَ ثُـمَّ صُـنْهَا ... وَإِلَّا سَـــوْفَ تَلْبَسُـــهَا حِـــدَادَا

وَظُـــنَّ بِسَـــائِرِ الْأَجْنَـــاسِ خَيْـــرًا ... وَأَمَّـــا جِـــنْسُ آدَمَ فَالْبِعَـــادَا

وَمَـــا أَتَصَـــدَّى لِلْخَلِيـــلِ وَلَا أُرَى ... مُرِيـدًا غِنَـى ذِي الثَّـرْوَةِ الْمُتَقَطِّبِ

وَمَـا أَتْبَـعُ الْأَلْـوَى الْمُـدِلَّ بِـوُدِّهِ ... عَلَـيَّ، وَلَا أَنْـأَى عَـنِ الْمُتَقَـرِّبِ

وَلَسْـتُ بِبَـاغِي الشَّـرِّ وَالشَّـرُّ تَـارِكِي ... وَلَكِنْ مَتَى أَحْمِلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

وَلَسْـتُ بِمِفْـرَاحٍ إِذَا الـدَّهْرُ سَـرَّنِي ... وَلَا جَـازِعٍ مِـنْ صَـرْفِهِ الْمُتَقَلِّـبِ

---

(٥٧) أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي من سُلالةٍ شريفةٍ في خدمة العباسيين، أديب راوية شاعر، مدح الخليفة المأمون وشرفت مكانته عنده، وكان المأمون يقول فيه: «لئن كانت حقوق أصحابي تجب علي لطاعتهم بأنفسهم فإن أحمد من تجب له المراعاة لنفسه وحجته ولأبيه وخدمته ولجده وقديم خدمته.»

(٥٨) هدبة بن كرز المعروف بابن الخشرم شاعر أموي قَتلَ صهرَه فقُتل به في عهد معاوية بعد أن مكث في السجن سنتين.

لا صديق لميت [مجهول «ووُجد البيتان على قبرٍ بالمدينة»]

يَـا مُفْـرَدًا سَـكَنَ الثَّـرَى وَبَقِيـتُ   لَـوْ كُنْـتُ أَصْـدَقَ إِذْ بَلِيتَ بَلِيـتُ
الْحَـيُّ يَكْـذِبُ. لَا صَـدِيقَ لِمَيِّـتٍ   لَوْ صَحَّ ذَاكَ، وَمِتَّ، كُنْتُ أَمُوتُ

رثاء أخ محسن [أبو العتاهية][٥٩]

لَقَـدْ كُنْـتُ أَغْـدُو إِلَـى قَصْـرِهِ   فَقَـدْ صِـرْتُ أَغْـدُو إِلَـى قَبْـرِهِ
أَخٌ طَالَمَـا سَـرَّنِي ذِكْـرُهُ   فَقَـدْ صِـرْتُ أُشْـجَى لَـدَى ذِكْـرِهِ
وَكُنْـتُ أَرَانِـي غَنِيًّـا بِـهِ   عَـنِ النَّـاسِ لَـوْ مُـدَّ فِـي عُمُـرِهِ
وَكُنْـتُ إِذَا جِئْـتُ فِـي حَاجَـةٍ   فَـأَمْرِي يَجُـوزُ عَلَـى أَمْـرِهِ
فَتًـى لَـمْ يَمَـلَّ النَّـدَى سَـاعَةً   عَلَـى عُسْـرِهِ، كَـانَ، أَوْ يُسْـرِهِ
تَظَـلُّ نَهَـارَكَ فِـي خَيْـرِهِ   وَتَـأْمَنُ لَيْلَـكَ مِـنْ شَـرِّهِ
أَتَتْـهُ الْمَنِيَّـةُ مُغْتَالَـةً   رُوَيْـدًا تَخَلَّـلُ مِـنْ سِـتْرِهِ
فَلَـمْ تُغْـنِ أَجْنَـادُهُ حَوْلَـهُ   وَلَا الْمُزْمِعُـونَ عَلَـى نَصْـرِهِ
وَبُـدِّلَ بِـالفُرْشِ بُسْـطَ الثَّـرَى   وَطِيـبَ نَـدَى الْأَرْضِ مِـنْ عِطْـرِهِ
وَأَصْـبَحَ يُهْـدَى إِلَـى مَنْـزِلٍ   عَمِيـقٍ يَجِـدُّونَ فِـي حَفْـرِهِ
أَشَـدُّ الْجَمَاعَـةِ وَجْـدًا بِـهِ   أَشَـدُّ الْجَمَاعَـةِ فِـي طَمْـرِهِ
فَلَسْـتُ أُشَـيِّعُهُ غَازِيًـا   أَمِيـرًا يَسِـيرُ إِلَـى ثَغْـرِهِ

(٥٩) إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية، نشأ في القرن الثاني وكان له افتنان في أوزان شعره ربما خرج به على العروض؛ لأنه كان كما يقول «أكبر من العروض». وهو أشهر شعراء زمانه في الزهد والنعي على الدنيا.

وَلَا مُتَلَقِّيَـــــــــهُ قَـــــــــافِلًا بِقَهْـــــرِ عَـــــدُوٍّ وَلَا أَسْـــــرِهِ
وَتُطْرِيـــــــهِ آلَاؤهُ الْبَاقِيَـــــاتُ لَـــــدَيْنَا إِذَا نَحْـــنُ لَـــمْ نُطْـــرِهِ
فَـــلَا يَبْعُـــدَنَّ أَخِـــي ثَاوِيًـــا فَكُـــلٌّ سَيَمْضِـــي عَلَـــى إِثْـــرِهِ

اعتذار هاجر [محمد بن يسير البصري][٦٠]

مَـا تَصْـنَعِينَ بِعَـيْنٍ عَنْـكِ طَامِحَـةٍ إِلَى سِوَاكِ، وَقَلْبٍ مِنْكِ قَدْ نُزِعَا
إِنْ قُلْـتِ: كُنْـتُ عَلَى وُدٍّ وَتَكْرِمَـةٍ فَقَدْ صَدَقْتِ، وَلَكِنْ ذَاكَ قَدْ مُنِعَا
وَأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمِعْتَ بِهِ، إِلَّا إِذَا صَارَ فِي غَايَاتِهِ، انْقَطَعَا

حب كلي [إبراهيم بن المهدي][٦١]

لَـمْ يُنْسِـنِيكِ سُـرُورٌ، لَا وَلَا حَـزَنٌ وَكَيْفَ يُنْسَى لَعَمْرِي وَجْهُكِ الْحَسَنُ؟
وَمَا خَلَا مِنْكِ قَلْبٌ لِي وَلَا بَدَنٌ، كُلِّـي بِكُلِّـكِ مَشْـغُولٌ وَمُـرْتَهَنُ
نُورٌ تَجَسَّمَ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ قَمَرٍ حَتَّى تَكَامَلَ مِنْهُ الرُّوحُ وَالْبَدَنُ!

الزمن [حاتم الطائي][٦٢]

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا الْيَوْمُ وَالْأَمْسُ وَالْغَدُ؟ كَـذَاكَ الزَّمَـانُ بَيْنَنَـا يَتَـرَدَّدُ
يَـرُدُّ عَلَيْنَـا لَيْلَـةً بَعْـدَ يَوْمِهَـا، فَـلَا عُمْرُنَا بَاقٍ وَلَا الدَّهْرُ يَنْفَـدُ

---

(٦٠) محمد بن يسير يكنَّى أبا جعفر، من شعراء الدولة العباسية، وقومه بنو رياش لهم خطة بالبصرة.
(٦١) إبراهيم المهدي ابن الخليفة محمد المهدي من جارية زنجيَّةٍ تُدعى شكلة، بُويع له بالخلافة في أيَّام الفتنة ولم يطلِ عهده، فنزل عن الملك وانقطع للفنِّ والأدب (١٦٢–٢٢٤هـ).
(٦٢) حاتم بن عبد الله الطَّائي الذي يُضرَبُ به المثلُ في الجود، نشأ في أواخر القرن السادس للميلاد ونظم الشعر الكثير والجيد منه قليل.

في وليمة ... [الحسين بن الحسن الواساني][٦٣]

ضُـرِبَ الْبُـوقُ فِـي دِمَشْـقَ وَنَـادَوْا لِشَـــقَائِي فِـــي سَـــائِرِ الْبُلْـــدَانِ
النَّفِيــرَ! النَّفِيــرَ! بِالْخَيْــلِ وَالرَّجْـــلِ إِلَـى دَارِ ذَا الْفَتَـى «الْوَاسَـانِي»
جَمَعُوا لِي الْجُمُوعَ مِنْ جِيلِ جِيلَا نَ، وَفَرْغَانَـــةَ، وَمِـــنْ دَيْلَمَـــانِ
وَمِـــنَ الـــرُّومِ وَالصَّـــقَالِبِ وَالتُّـــرْكِ وَبَعْـــضِ الْبُلْغَـــارِ وَالْيُونَـــانِ
وَمِـــنَ الْهِنْـــدِ والْأَعَـــاجِمِ وَالْبَـــرْبَـــرِ وَالْكَيْلَجُـــوجِ[٦٤] وَالْبَلْقَـــانِ
لَـمْ يُحَاشُـوا مِمَّـنْ عَـدَدْتُ مِـنَ الْآفَـــاقِ مِـــنْ مُسْـــلِمٍ وَلَا نَصْـــرَانِي
وَالْبَـوَادِي مِـنَ الْحِجَـازِ إِلَـى نَجْـــدٍ، مَعَـــدِّيِّهَا مَـــعَ الْقَحْطَـــانِي
كُـلِّ شَـكْلٍ، مَـا بَيْنَ حُـدْبٍ وَحُـولٍ وَمِـــنَ الْعُمْـــيِ أَوْ مِـــنَ الْعُـــورَانِ
وَشُـــيوخٍ قُـــبِّ الْبُطُـــونِ وَشُـــبَّانِ رِحَـــابِ الْأَشْـــدَاقِ وَالْمُصْـــرَانِ
كُـلِّ ذِي اسْـمٍ مُسْـتَغْرَبٍ أَعْجَمِـيٍّ مَنَعَـــتْ صَـــرْفَ إِسْـــمِهِ عِلَّتَـــانِ
كَمِرَنْـــدَ، وَطَغَتْكِـــينَ، وَطَرْخَـــانَ، وَكِسْـــرَى، وَخُـــرَّمٍ، وَطَغَـــانِي
وَخُمَـــارٍ، وَزَيْـــزَكٍ، وَخَوَنْـــدٍ وَمَمِـــيشٍ، وَطَشْـــلَمٍ، وَجَـــوَانِ
وَطِـــرَادٍ، وَجَهْبَـــلٍ، وَزِيَـــادٍ وَشِـــهَابٍ وَعَـــامِرٍ وَسِـــنَانِ
غُبَّـــرٍ جُمِّعُـــوا بِغَيْـــرِ عُقُـــولٍ وَازِعَـــاتٍ عَنِّـــي، وَلَا أَدْيَـــانِ

---

(٦٣) ابن واسان الدِّمشقيُّ مِن شُعراءِ القَرنِ الرَّابِعِ المُجيدين، وله ولعٌ بالهجاءِ والدعابة كأنَّه يحكي ابن الرومي في هذه المعاني، وقصيدته هذه مُطوَّلةٌ اخترنا منها ما يدُلُّ على سائرها.
(٦٤) أناس من أهل العراق.

هَلْ سَمِعْتُمْ بِمَعْشَرٍ جَمَعُوا الْخَيْـ | ـلَ وَسَارُوا بِالرَّجْلِ وَالفُرْسَانِ

ضُرِبَ الْبُوقُ فِي دِمَشْقَ وَنَادَوْا | لِشَقَائِي فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ

رَحَلُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ لَيْلَةَ «الْمَرْ | فَعِ»[٦٥] مِنْ أَجْلِ أَكْلَةٍ مَجَّانِ

شَرَهٌ بَارِدٌ وَحِرْصٌ عَلَى الْأَكْـ | ـلِ، فَوَيْلِي مِنْ معشَرٍ مُجَّانِ

لَسْتُ أَنْسَى مُصِيبَتِي يَوْمَ جَاءُو | نِي، وَقَدْ ضَاقَ عَنْهُمُ الْوَادِيانِ

وَرَدُوا لَيْلَةَ الْخَمِيسِ عَلَيْنَا | فِي خَمِيسٍ مِلْءِ الرُّبَى وَالْمَغَانِي

مُتَوَالٍ، كَالسَّيْلِ، لَا يَلْتَقِي مِنْـ | ـهُ، لِفَرْطِ انْتِشَارِهِ، الطَّرَفَانِ

أَشْرَفُوا بِي عَلَى زُرُوعٍ وَأَحْطَا | بٍ وَبَيْتٍ بِخَيْرِهِ مَلْآنِ

وَشُوَاءٍ مِنَ الْجِدَاءِ، وَمَعْلُو | فِ دَجَاجٍ، وَفَائِقِ الْحِمْلَانِ

وَشَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ زَوْرَةِ الْمَعْـ | ـشُوقِ، بَعْدَ الصُّدُودِ وَالْهِجْرَانِ

يُخْمِلُ الْوَرْدَ فِي الرَّوَائِحِ وَالطَّعْـ | ـمِ، وَيَحْكِي شَقَائِقَ النُّعْمَانِ

أَذْكَرَتْنِي جُيُوشُهُمْ يَوْمَ جَاءُو | نِي بِيَوْمِ الْكُلَابِ وَالرَّحْرَحَانِ[٦٦]

يَقْدُمُ الْقَوْمَ أَرْحَبِيٌّ هَرِيتُ الشـْ | ـشِدْقِ، رَحْبُ الْمِعَى، طَوِيلُ اللِّسَانِ

هُوَ نِمْسُ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ وَالْوِزْ | زِ، وَذِئْبُ النِّعَاجِ وَالْخِرْفَانِ

لَسْتُ أَنْسَاهُ جَاثِيًا جَاحِظَ الْعَيْـ | ـنِ، عَبُوسًا فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ

---

(٦٥) المرفع والمرافع أيَّام معلومة تتقدَّم صوم المسيحيين.

(٦٦) الكلاب اسم ماء بين الكوفة والبصرة، ورحرحان اسم جبل قريب من عكاظ، وفي كلا الموضعين وقائع مشهورة تذكر بين أيام عرب الجاهلية المعدودة.

كَالْعُقَابِ الْغَرْثَانِ[٦٧] يَقْتَنِصُ اللَّحْـ ـمَ وَيَهْـوِي إِلَـى طُيُـورِ الْخِـوَانِ
وَالْأَدِيـبُ الَّـذِي بِـهِ كُنْـتُ أَعْتَـدْ دُ غَزَانِـي لِلْحِـينِ فِـيمَنْ غَزَانِـي
وَكَـذَا الْكَاتِـبُ الَّـذِي كَـانَ جَـارِي وَصَـــدِيقِي، وَمُشْـــتَكَى أَحْزَانِـــي
كُلَّمَـــا شَـــقَّقَ الْفَـــرَارِيجَ شَقَّقْـــ ـتُ لِغَيْظِـيَ مِـنْ فِعْلِـهِ قُمْصَـانِي
وَهْـوَ فِـي أَمْـرِهِ مُجِـرٌّ[٦٨] رَخِـيُّ الْـ ـبَالِ، لَـمْ يَعْنِـهِ الَّـذِي قَـدْ عَنَـانِي
لَيْسَ هَـذَا مِـنْ شَـهْوَةِ الْأَكْـلِ. هَـذَا مِـــنْ طَرِيـــقِ الْبَغْضَـــاءِ وَالشَّـــنَآنِ
أَفْقَرُونِـــي، وَغَـــادَرُونِي بِـــلَا دَا رٍ وَلَا ضَـــــــيْعَةٍ وَلَا حَيَـــــــوَانِ
ثُـــمَّ قَـــالُوا: هَلُـــمَّ شَـــيْئًا! فَنَادَيْـــ ـتُ غُلَامِي: قُمْ وَيْلَكَ فَاخْبَأْ حِصَانِي
فَتَمَـــالَوْا عَلَـــيَّ شَـــتْمًا وَلَعْنًـــا وَاسْـــتَبَاحُوا عِرْضِـــي بِكُـــلِّ لِسَـــانِ
ثُـــمَّ رَاحُـــوا بَعْـــدَ الْعَشَـــاءِ إِلَـــى دَا رِي فَلَـمْ يَتْرُكُـوا سِـوَى الْحِيطَـانِ
كَـــانَ لِـــي مَفْـــرَشٌ وَثِيـــرٌ مَلِـــيحٌ فَوْقَـــهُ مَطْـــرَحٌ مِـــنَ الْمِيسَـــانِي
وَبِسَـاطٌ مِـنْ أَحْسَـنِ الْبُسُـطِ مَذْخُو رٌ لِعُـــرْسٍ أَوْ دَعْـــوَةٍ أَوْ خِتَـــانِ
أَغْرَقُـوهُ بِالْبَصْـقِ وَالْقَـيْءِ وَالْبَـوْ لِ فَأَضْـــحَى وَقَـــدْرُهُ بَعْرَتَـــانِ
هَوَّمُـوا سَـاعَةً كَتَهْوِيمَـةِ الْخَـا ئِـفِ فِـي غَيْـرِ أَرْضِـهِ، الْفَزْعَـانِ
ثُـمَّ قَـامُوا لَـيْلًا، وَقَـدْ جَـنَحَ النَّسْـ ـرُ وَمَـالَ السِّـمَاكُ وَالْفَرْقَـدَانِ
يَصْرُخُونَ: الصَّبُوحَ، يَا صَاحِبَ الْبَيْـ ـتِ! فَـأَبْكَوا عَيْنِـي وَرَاعُـوا جَنَـانِي

---

(٦٧) الجوعان.
(٦٨) ماضٍ على رأسه في هواه.

سَحَبُونِي مِنْ عُقْرِ دَارِي عَلَى وَجْـ ـهِي كَـأَنِّي أُدْعَـى إِلَـى السُّـلْطَانِ
هَـلْ سَـمِعْتُمْ فِيمَـا سَـمِعْتُمْ بِإنْسَـا نٍ عَـرَاهُ فِي دَعْـوَةٍ مَـا عَرَانِـي؟ ...
لَمْ يَكُنْ ذَا الْقِرَانُ[٦٩] إِلَّا عَلَى شُؤْ مِي، فَـوَيْلِي مِنْ نَحْسِ ذَاكَ الْقِرَانِ

ولا دعوى [أبو بكر بن ظِهار][٧٠]

وَاللهِ مَـــا أَرَبِـــي مِـــنَ الـــدُّنْيَا إِلَّا الْمُـــدَامُ وَوَجْـــهُ مَـــنْ أَهْـــوَى
فَـــإِذَا نَظَـــرْتُ إِلَـــى صَـــفَائِهِمَا لَـــمْ يَبْـــقَ لِـــي أَمَـــلٌ وَلَا دَعْـــوَى

زحامٌ مِنَ العُطُور [يوان مي]

عَلَى ضَفَّةِ الْجَدْوَلِ الْغَرْبِيِّ
تُطِيفُ بِيَ الْأَحْلَامُ فِي الْغَسَقِ الْمُزَنْبَقِ
وَتُدَاعِبُنِي نَسَمَاتُ الرَّبِيعِ
فَتُرْسِلُ عَلَيَّ زِحَامًا مِنَ الْعُطُورِ
وَتَبَسِمُ فِي وَجْهِي حِينَ لَا أَدْرِي
عِطْرُ الْوَرْدِ مِنْ عِطْرِ الْبَشْنِينِ.

زهر الصفصاف [يوان مي][٧١]

أَزْهَارُ الصِّفْصَافِ، كَنَدِيفِ الثُّلُوجِ ... إِلَى أَيْنَ!

---

(٦٩) القران اجتماع كوكبين في جزءٍ واحدٍ من أجزاء فلك البروج.
(٧٠) مِن شُعراءِ المغرب ماتَ خَامِلًا في عنفوان شبابه أوائل القرن الخامس.
(٧١) **Yuan Mei** شاعرٌ من أشهر شعراء الطبيعة في الصين، تغَنَّى بحديقته في مدينة نانكنج فأصبحت كعبة القُصَّاد، وفلسفته كلها في الحياة تظهرُ من الأبيات القليلة التي اخترناها له في هذه المجموعة (١٧١٥–١٧٩٧).

أَيْنَ تَمْضِي جُمُوعُكَ الضَّالَّةُ مَعَ الرِّيحِ؟

قَلَّمَا نُبَالِي وَأَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ مَا نَدْرِي!

* * *

إِنَّمَا سَبِيلُنَا مِنْ سَبِيلِ الْهَوَاءِ

حَيَاتُنَا فِي دَوَّامَاتِهِ الْعَاصِفَةِ

وَمَوْتُنَا فِي الْهَاوِيَةِ هُنَاكَ.

وهم [يوان مي Yuan Mei]

نَحْنُ نَبْكِي يَوْمَ نُولَدُ، وَغَيْرُنَا يَبْكِي يَوْمَ نَمُوتُ

وَلَقَدْ أَحْزَنُ وَغَيْرِي صَادِحٌ بِالْغِنَاءِ!

وَلَقَدْ أَصْدَحُ بِالْغِنَاءِ وَغَيْرِي يُطِيلُ الْبُكَاءَ

كُلُّهُ غَارِبٌ، كُلُّهُ ذَاهِبٌ، كَذَلِكَ الْجَدْوَلُ الْمُنْسَابُ

كُلُّهُ غُرُورٌ، كُلُّهُ يَدُورُ، كَمَا يَدُورُ ذَلِكَ الدُّولَابُ

نُجَدِّدُ الزِّنَادَ وَمَا بِالنَّارِ مِنْ تَجْدِيدٍ

وَمَا يُبَالِي النُّورُ مِنْ مِصْبَاحٍ فَانٍ، أَوْ مِصْبَاحٍ وَلِيدٍ؟

* * *

إِنْ تَضْحَكْ فَحَقِيقٌ بِضَحِكِ السَّاخِرِ أُولَئِكَ السَّائِحُونَ

إِلَى مَعَابِدِ الْبُوذَا وَهَيَاكِلِ الْجِنَّةِ يَغْدُونَ وَيَرُوحُونَ

وَعِنْدَ أَصْنَامِها يَرْكَعُونَ وَيَخْشَعُونَ

إِنَّمَا النُسُكُ سَآمَةٌ وَعَنَاءٌ

وَإِنَّمَا الرُّكُوعُ صُدَاعٌ وَإِعْيَاءٌ

طَحَالِبٌ عَلَى مُسْتَنْقَعَاتٍ تَسِيحُ!

وَأَيْنَ مَنْ يَقْبِضُ لَنَا ظِلَالَ الرِّيحِ؟

وَيَا وَيْلَتَا لَوْ تُجَابُ تِلْكَ الصَّلَوَاتُ

لَفَرَّقْتُهُمْ بِضَحِكَاتِي إِذَنْ إِلَى شَتَاتٍ وَفَوَاتٍ!

هرة كالدنيا [الفضل بن إسماعيل الجرجاني]

إِنَّ لِـي هِـرَّةً خَضَـبْتُ شَـوَاهَا دُونَ وِلْـدَانِ مَنْزِلِـي بِـالرَّقُونِ[٧٢]

ثُـمَّ قَلَّـدْتُهَا، لِخَـوْفِي عَلَيْهَـا، وَدَعَـاتٍ تَـرُدُّ شَـرَّ الْعُيُـونِ

كُـلَّ يَـوْمٍ أَعُولُهَـا قَبْـلَ أَهْلِـي بِـزُلَالٍ صَـافٍ، وَلَحْـمٍ سَـمِينِ

وَهْـيَ تَلْعَابـةٌ إِذَا مَـا رَأَتْنِـي عَـابِسَ الْوَجْـهِ، وَارِمَ الْعِـرْنِينِ[٧٣]

فَتُغَنِّـي طَـوْرًا، وَتَـرْقُصُ طَـوْرًا وَتَلَهَّـى بِكُـلِّ مَـا يُلْهِينِـي

لَا أُرِيـدُ الصِّـلَاءَ إِنْ ضَـاجَعَتْنِي عِنْـدَ بَـرْدِ الشِّـتَاءِ فِـي كَـانُونِ

وَإِذَا مَـا حَكَكْتُهَـا لَحَسَـتْنِي بِلِسَـانٍ كَـالْمِبرَدِ الْمَسْـنُونِ

وَإِذَا مَـا جَفَوْتُهَـا اسْـتَعْطَفَتْنِي بِـأَنِينٍ مِـنْ صَـوْتِهَا وَرَنِـينِ

وَإِذَا مَـا وَتَرْتُهَـا كَشَـفَتْ لِـي عَنْ جِرَابٍ لَيْسَتْ مَتَاعَ الْعُيُونِ[٧٤]

---

(٧٢) أي صبغت أطرافها بالحنَّاء والزعفران.

(٧٣) الأنف.

(٧٤) ما تكشف عنه براثنها.

أَعْجَبُ الْخَلْقِ حِينَ تَلْعَبُ بِالْفَا	رِ فَتُلْقِيهِ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ
كُلَّمَا مَاتَ حِسُّهُ أَنْشَرَتْهُ	بِشِمَالٍ مَكْرُوبَةٍ أَوْ يَمِينِ
وَتُصَادِيهِ بِالْغُفُولِ فَإِنْ رَا	مَ فِكَاكًا عَلَتْهُ كَالشَّاهِينِ[٧٥]
وَإِذَا مَا رَجَا السَّلَامَةَ مِنْهَا	عَاجَلَتْهُ بِوَثْبَةِ التِّنِّينِ[٧٦]
وَكَذَاكَ الْأَقْدَارُ تَلْعَبُ بِالْمَرْ	ءِ وَتَغْتَالُهُ بِقَطْعِ الْوَتِينِ[٧٧]
بَيْنَمَا كَانَ فِي نَشَاطٍ وَأُنْسٍ	إِذْ سَقَاهُ سَاقٍ كُئُوسَ الْمَنُونِ

لوز [الفضل بن إسماعيل الجرجاني][٧٨]

إِنِّي بُلِيتُ بِشَادِنٍ	بَلْوَاهُ عِنْدِي تُسْتَحَبُّ
فَإِذَا بَلَوْتُ طِبَاعَهُ	فَالْمَاءُ يُشْرَبُ وَهْوَ عَذْبُ
وَإِذَا نَضَوْتَ ثِيَابَهُ	فَاللَّوْزُ يُقْشَرُ وَهْوَ رَطْبُ
وَقُصَارُ وَصْفِي أَنَّهُ	فِيمَا أُحِبُّ كَمَا أُحِبُّ

كله قلوب [قابوس بن وشكمير الديلمي][٧٩]

خَطَرَاتُ ذِكْرِكِ تَسْتَثِيرُ صَبَابَتِي	فَأُحِسُّ مِنْهَا فِي الْفُؤَادِ دَبِيبَا
لَا عُضْوَ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ	فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

---

(٧٥) طائر طويل الجناحين من فصيلة الصقر.
(٧٦) التنين الحيَّة العظيمة، أو الحوت الكبير.
(٧٧) عِرْقٌ في القلب.
(٧٨) الفضل بن إسماعيل التميمي أبو عامر تلميذ عبد القاهر الجرجاني ومن أدباء القرن الرَّابع الممتازين بالحفظ والتفقُّه، وشعره سائغٌ متين.
(٧٩) كان صاحب جُرجان وطبرستان، تولَّاهما في أواخر القرن الرابع ومات سنة ثلاث وأربعمائة.

خانت فوفت! [أبو بكر بن السراج][٨٠]

مَيَّــزْتُ بَــيْنَ جَمَالِهَــا وَفِعَالِهَــا ... فَــإِذَا الْمَلَاحَــةُ بِالْخِيَانَــةِ لَا تَفِــي

حَلَفَــتْ لَنَــا أَلَّا تَخُــونَ عُهُودَنَــا ... فَكَأَنَّمَــا حَلَفَــتْ لَنَــا أَلَّا تَفِــي

صلاحُ الدِّين [ابن التعاويذي]

مَلِــكٌ إِذَا عَلَقَــتْ يَــدٌ بِذِمَامِــهِ ... عَلِقَــتْ بِحَبْــلٍ فِــي الْوَفَــاءِ مَتِــينِ

قَــادَ الْجِيَــادَ مَعَــاقِلًا، وَإِنِ اكْتَفَــى ... بِمَعَاقِــلٍ مِــنْ رَأْيِــهِ وَحُصُــونِ

سَــهِرَتْ جُفُــونُ عِــدَاهُ خِيفَــةَ فَــاتِحٍ ... خُلِقَــتْ صَــوَارِمُهُ بِغَيْــرِ جُفُــونِ

أَضْحَتْ دِمَشْقُ، وَقَدْ حَلَلْتَ بِسَاحِهَا، ... مَــأْوَى الضَّــعِيفِ وَمَؤْئِــلَ الْمِسْــكِينِ

لَــكَ عِفَّــةٌ فِــي قُــدْرَةٍ، وَتَوَاضُــعٌ ... فِــي عِــزَّةٍ، وَصَــرَامَةٌ فِــي لِــينِ

عمى وشيب [ابن التعاويذي][٨١]

حَـــالَانِ مَسَّـــتْنِي الْحَـــوَا ... دِثُ مِنْهُمَـــا بِفَجِيعَتَـــيْنْ

إِظْـــلَامُ عَيْنِـــي فِـــي ضِـــيَا ... ءٍ مِـــنْ مَشِـــيبٍ سَـــرْمَدَيْنْ

قَــدْ رُحْــتُ فِــي الــدُّنْيَا مِــنَ السَّ ... ـــرَّاءِ صِـــفْرَ الـــرَّاحَتَيْنْ

في المرآة [ابن زهر الأندلسي][٨٢]

إِنِّــي نَظَــرْتُ إِلَــى الْمِــرْآةِ أَسْــأَلُهَا ... فَــأَنْكَرَتْ مُقْلَتَــايَ كُــلَّ مَــا رَأَتَــا

رَأَيْــتُ فِيهَــا شُــيَيْخًا لَسْــتُ أَعْرِفُــهُ ... وَكُنْــتُ أَعْهَــدُ فِيهَــا قَبْــلَ ذَاكَ فَتَــى

---

(٨٠) أبو بكر بن السراج البغدادي النحوي أقدر أصحاب أبي العباس المبرد، ويُقالُ: ما زال النَّحو مجنونًا حتى عقله ابن السراج، وكان له ولعٌ بفنِّ المُوسيقى والألحان، وتوفي سنة ٣١٦هـ.

(٨١) محمد بن عُبيد الله المعروف بسبط التعاويذي، اتصل بصلاح الدين، وعمي في أواخر عمره (سنة ٥٧٩).

(٨٢) محمد بن عبد الملك بن زهر الأندلسي الإشبيلي كان من أقوياء الرُّماة بالقوس ومهرة اللعب بالشطرنج وظُرَفاء الشُّعَرَاءِ (٥٠٧–٥٩٥).

فَقُلْتُ: أَيْنَ الَّذِي بِالْأَمْسِ كَانَ هُنَا؟ مَتَى تَرَحَّلَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، مَتَى؟
فَاسْتَجْهَلَتْنِي وَقَالَتْ لِي وَمَا نَطَقَتْ: قَدْ كَانَ ذَاكَ، وَهَذَا بَعْدَ ذَاكَ أَتَى

تقدر؟ [محمد بن بركات الصوفي](٨٣)

يَـا عُنُـقَ الْإِبْرِيـقِ مِـنْ فِضَّـةٍ وَيَـا قَـوَامَ الغُصْـنِ الرَّطْـبِ
هَبْـكَ تَجَافَيْـتَ وَأَقْصَـيْتَنِي تَقْـدِرُ أَنْ تَخْـرُجَ مِـنْ قَلْبِـي؟

صاحب «الأغاني» يتغنَّى! [أبو الفرج الأصفهاني](٨٤)

الْحَمْـدُ لِلـهِ عَلَـى مَـا أَرَى مِـنْ ضَـيْعَتِي مَـا بَـيْنَ هَـذَا الْـوَرَى
صَـيَّرَنِي الـدَّهْرُ إِلَـى حَالَـةٍ يَعْدَمُ فِيهَا الضَّـيْفُ عِنـدِي الْقِـرَى
بُـدِّلْتُ مِـنْ بَعْـدِ الْغِنَـى حَاجَـةً إِلَـى كِـلَابٍ يَلْبَسُـونَ الْفِـرَا
أَصْـبَحَ أُدْمُ السُّـوقِ لِـي مَـأْكَلًا وَبَـاتَ خُبْـزُ الْبَيْـتِ خُبْـزَ الشِّـرَا
وَبَعْـدَ مُلْكِـي مَنْـزِلًا عَـامِرًا سَـكَنْتُ بَيْتًـا مِـنْ بُيُـوتِ الْكِـرَى
فَكَيْـفَ أُلْفَـى لَاهِيًـا ضَـاحِكًا وَكَيْـفَ أَحْظَـى بِلَذِيـذِ الْكَـرَى
سُـبْحَانَ مَـنْ يَعْلَـمُ مَـا خَلْفَنَـا وَبَـيْنَ أَيْـدِينَا، وَتَحْـتَ الثَّـرَى

سمراء [كونتي كلن](٨٥)

أُحِبُّكِ لِهَذِهِ الصِّبْغَةِ السَّمْرَاءِ، وَلَهَذَا الظَّلَامِ الْمُسْتَدِيرِ عَلَى صَدْرِكِ
أُحِبُّكِ لِهَذَا الْحُزْنِ الْمُجْهِشِ فِي نَبْرَةِ صَوْتِكِ

---

(٨٣) محمد بن بركات بن جلال بن عبد الواحد، أديب مصري له علم بالنحو والخطط ومعرفة حسنة بالأخبار والأشعار (٤٢٠ – ٥٢٠).
(٨٤) من أكبر أُدباء القرن الرَّابع مُؤرِّخٌ نحويٌّ موسيقيٌّ مُطلع على الطب والنجوم وهو صاحب الأغاني وكفى.
(٨٥) **Countee Cullen** شاعرٌ أمريكيٌّ زنجيٌّ وُلِدَ في نيويورك سنة **١٩٠٣** ودرس الأدب في أمريكا وفرنسا، وشعره الغنائي مملوءٌ بالنَّزعة القومية.

أُحِبُّكِ لِهَذِهِ الظِّلَالِ الَّتِي تُهَوِّمُ عَلَيْهَا جُفُونُكِ الْهَائِمَةُ

آهِ أَيَّتُهَا السَّمْرَاءُ الَّتِي خُلِقَتْ قَرِينَةً لِلْأَسَى

صُونِي كُلَّ مَا عِنْدَكِ مِنْ مَخَائِلِ الْإِمَارَةِ

وَانْسَي يَوْمَ كُنْتِ الْجَارِيَةَ الْمَمْلُوكَةَ

وَاجْعَلِي هَذِهِ الشَّفَةَ الْغَلِيظَةَ الْوَافِيَةَ

تَسْتَوْفِي الضَّحِكَ مِنَ الْأَقْدَارِ!

مع الغنم [وليام هنري دافيز](٨٦)

يَوْمَ كُنْتُ فِي بَلْتِيمُورَ، جَاءَنِي إِنْسَانٌ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ:

تَعَالَ. عِنْدِي أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةِ نَعْجَةٍ، وَسَنُبْحِرُ مَعَ الْمَدِّ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ

لَكَ أَيُّهَا الْفَتَى خَمْسُونَ شِلِنًا إِنْ أَبْحَرْتَ مَعَنَا، وَسَنَحْمِلُ هَذِهِ الْغَنَمَ إِلَى جَلَاسْجُو، مِنْ بَلْتَيْمُورَ.

* * *

طَوَيْتُ يَدِيْ عَلَى النَّقْدِ وَأَبْحَرْتُ مَعَ النَّقَّادِ،(٨٧) وَسُرْعَانَ مَا مَرَقَتْ بِنَا السَّفِينَةُ مِنَ الْمِينَاءِ!

وَسُرْعَانَ مَا أَوْغَلَتْ بِنَا فِي الْبَحْرِ الْأُجَاجِ الْبَعِيدِ الْأَغْوَارِ

* * *

(٨٦) William Henry Davies شاعرٌ وُلد في ويلز وقضى معظم حياته شريدًا على الأبواب ونظم الشعر بعد الثلاثين، وشعره من قبيل هذه القصيدة تمثيلٌ لحياةِ التَّشرُّد والطواف (١٨٧١–١٩٤٠).

(٨٧) النقاد: صاحب الغنم.

وَانْقَضَتِ اللَّيْلَةُ الْأُولَى وَتِلْكَ الْخَلَائِقُ هَادِئَاتُ الطَّوَايَا

ثُمَّ تَعَالَى الثُّغَاءُ فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ مِنْ خَوْفٍ. فَمَا كَانَ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي تَتَلَقَّاهُ أُنُوفُهَا نَفْحَةٌ مِنْ قِبَلِ الْمُرُوجِ الْفِيحِ.

وَبَاتَتْ – يَا لَهَا مِنْ مِسْكِينَاتٍ – تَسْتَرْوِحُ الْهَوَاءُ

وَبَاتَتْ تَصِيحُ صِيَاحَهَا الْهَاتِفَ بِالْمُرُوجِ الْخُضْرِ، الْمُهِيبَ بِالْمَرْعَى الْبَعِيدِ

وَتِلْكَ لَيْلَةٌ لَمْ أَنَمْهَا ... فَأُقْسِمُ لَا خَمْسُونَ شِلِنًا، وَلَا خَمْسُونَ أَلْفًا بَعْدَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِمُغْرِيَتِي أَنْ أَصْحَبَ الْغَنَمَ فِي الْبِحَارِ ...!

شر من الحب والبغض [هنريك هيني][٨٨]

لَقَـــدْ عُـــذِّبْتُ مِـــنْ قَبْـــلُ وَقَـــدْ عُـــذِّبْتُ مِـــنْ بَعْـــدُ
بِقَـــوْمٍ دَاؤُهُـــمْ حُـــبٌّ وَقَـــوْمٍ دَاؤُهُـــمْ حِقْـــدُ
وَفِـــي الْخَمْـــرِ الَّتِـــي أُسْـــقَى وَفِـــي الْخُبْـــزِ الَّـــذِي أُطْعَـــمْ

* * *

يَـــدٌ بِـــالْبُغْضِ سَـــمَّتْهُ وَقَلْـــبٌ بَـــالْهَوَى سَـــمَّمْ
وَلَكِـــنْ شَـــرُّ مَـــا أَلْقَـــى وَأَدْوَى كُـــلِّ أَدْوَائِـــي

* * *

فَتَـــاةٌ لَا أَحَبَّتْنِـــي وَلَا هَمَّـــتْ بِبَغْضَـــائِي

---

(٨٨) Heinrick Heine شاعرٌ ألمانيٌّ من أصل إسرائيلي، يُعدُّ هو وجيتي أبلغ الشعراء الغنائيين في اللغة الألمانية، وله أسلوبٌ يشوب فيه الإيمان بالسخر بالعبث والشكوى بالدعابة، ونثره في طبقة شعره من الطراز الأول في الملح والمعاني المستظرفة، هجر ألمانيا فقضى معظم أيَّام الهجرة في باريس (١٧٩٧–١٨٥٦).

خطاب فتاة

إلى العجوز التي ستكونها بعد سنين [أليس مينل][٨٩]

اسْمَعِي! أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي أَبْلَتْهَا السُّنُونَ
إِذَا طُوِيَتْ يَدُكِ النَّاحِلَةُ عَلَى هَذَا الْقِرْطَاسِ
فَاذْكُرِي تِلْكَ الَّتِي بَارَكَتْهُ بِلَمَسَاتِهَا وَقُبُلَاتِهَا

* * *

أُنَادِيكِ يَا أُمَّاهُ. فَإِنَّ أَثْقَالَ السِّنِينَ كَسَرَتْكِ
بَلْ أُنَادِيكِ يَا بِنْتَاهُ. فَإِنَّ ذِكْرَى الزَّمَنِ أَيْقَظَتْكِ
وَمِنْ أَطْوَارِ قَلْبِي يَخْلُقُ الزَّمَنُ كُلَّ مَا فِيكِ

* * *

آهٍ أَيَّتُهَا السَّائِمَةُ الْمَكْدُودَةُ. إِنَّ الصَّبِيحَةَ فِي السَّمَاءِ لَشَمْطَاءُ
أَفَلَا تَذْكُرِينَ السُّحُبَ كَيْفَ تُسَاقُ؟
أَتَرَيْنَهَا كَانَتْ تَهْدَأُ عِنْدَ الْمَغِيبِ؟

* * *

تَمَهَّلِي هُنَيْهَةً فِي خِتَامِ مَطَافِكِ الطَّوِيلِ
فَإِنَّ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ الْمُوحِشَةِ

---

(٨٩) Alice Meynell شاعرة من أقدر شواعر إنجلترة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، قضت أيَّام شبابها في إيطاليا، ولها عدا الشعر فصول في النَّقد الفني والمسائل الدينية ١٨٤٦–١٩٢٢.

لَأُلْفَةً لِسَاعَةِ التَّدَبُّرِ وَالتَّذْكَارِ

* * *

يُؤْلِمُكِ أَيَّتُهَا الصَّامِتَةُ الْخَافِقَةُ تَذْكِيرِي إِيَّاكِ

بِتِلْكَ الْهِضَابِ – هِضَابِ الشَّبَابِ – الَّتِي عَصَفَتْ عَلَيْهَا السَّمَاءُ

وَتِلْكَ الْأَعَاصِيرِ الْأَوَابِدِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَافِيَةِ، الَّتِي خَلَّفْتِهَا وَرَاءَكِ

* * *

اعْلَمِي أَنَّ الْبَطْحَاءَ الْمُوحِشَةَ الَّتِي تَدْرُجِينَ فِيهَا الْآنَ

إِنَّمَا هِيَ دُنْيَا مِسَاءٍ صَمُوتٍ

وَتَأَمَّلِي فِي تِلْكَ الْقِمَمِ الْمُغَشَّاةِ. إِنَّهَا تُسْفِرُ عَنْ صَبَاحٍ

* * *

اسْمَعِي هَاتِيكَ رِيَاحُ الْجَبَلِ تَهُبُّ بِالْغُيُوثِ

وَهَاتِيكَ الْقِمَمُ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ تَتَأَلَّقُ بِالشُّعَاعِ

حَاشَايَ أَنْ أَدَعَكِ تَذْهَبِينَ – نَاسِيَةً – إِلَى الْمَوْتِ

* * *

لَيْتَنِي أَعْلَمُ أَيُّ جَانِبٍ مِنْ قَلْبِي هَذَا الْمُضْطَرِمِ سَيَتْبَعُكِ

إِلَى حَيْثُ الرِّيَاحُ لَا تَعْصِفُ وَلَا تَتَهَزَّمُ

وَحَيْثُ أَزْهَارُ الْجِبَالِ الصَّبِيَّةُ لَا تَعِيشُ وَلَا تَجُودُ

* * *

وَلَكِنْ دَعِي خِطَابِي وَفِيهِ مَا فِيهِ مِنْ خَوَاطِرِكِ الْمَفْقُودَةِ
يُنَبِّئُكِ كَيْفَ كَانَتِ الطَّرِيقُ فِي بِدَايَةِ الطَّرِيقِ
وَيَصْحَبُكِ إِلَى الْغَايَةِ، حِينَ إِلَى الْغَايَةِ تَنْتَهِينَ

* * *

آهٍ. رُبَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِكِ تَقُودُكِ فِيهَا خَوَاطِرِي
فَمَا تَشْعُرِينَ إِلَّا وَالرِّيَاحُ مِنْ وَطَنِكِ الْقَدِيمِ تَحُومُ حَوَالَيْكِ
وَإِنْ أَخْفَاكِ عَنْهَا الزَّمَنُ وَالظَّلَامُ وَالسُّكُوتُ

* * *

تَقُولُ لَكِ: كَمْ جَاشَتْ بِالْفَتَاةِ هَذِهِ الذِّكْرَيَاتُ
وَكَمْ رَانَتْ عَلَى الصَّبَاحِ ظُلُمَاتُ هَذِهِ الظِّلَالِ
وَكَمْ خَيَّمَ عَلَيْهَا هَذَا الْحُزْنُ الَّذِي تُفَارِقِينَهُ بِقَلْبٍ حَزِينٍ

* * *

وَبَعْدُ، فَمَالِي أَقْفُوكِ بِخَوَاطِرِي هَذِهِ لَيْتَ شِعْرِي؟
إِنَّ الْحَيَاةَ تَتَبَدَّلُ، وَإِنَّكِ مَعَ الْأَيَّامِ تَتَبَدَّلِينَ
فَيَا أَيَّتُهَا الطَّبِيعَةُ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ. لَيْتَكِ تَرُدِّينَ إِلَيْهَا فُؤَادِي الضَّلِيلَ

* * *

سَتَعُودُ إِلَيْنَا نَسَمَاتُهَا بِقُبُلَاتِهَا
وَسَتَسْرِي إِلَيْنَا فِي الْمَسَاءِ كَأَنَّهَا قُبْلَةٌ فِي الصَّبَاحِ

وَسَيَنْفُثُ الصَّيْفُ نِعْمَتَهُ الَّتِي لَا يُغَيِّرُهَا الزَّمَانُ

* * *

وَنَحْنُ وَقَدْ تَبَدَّلَتْ لَنَا لَمْحَةٌ بَعْدَ لَمْحَةٍ، وَنَسَمَاتٌ بَعْدَ نَسَمَاتٍ

تَتَعَقَّبُ إِحْدَانَا الْأُخْرَى فِي شَتَّى الْمَسَارِبِ وَالدُّرُوبِ

عَلَى نَفَحَاتِ الطُّفُولَةِ الْخَالِدَةِ الَّتِي تَتَأَرَّجُ بِهَا الرَّيَاحِينُ، أَطْفَالُ الْخُلُودِ

* * *

وَمَا أَكْتُبُ إِلَيْكِ هَذَا الْخِطَابَ الْمُسْتَطْلِعَ النَّاظِرَ إِلَى الْغُيُوبِ

لِأُمَوِّهَ لَكِ الذُّبُولَ بِإِكْلِيلٍ مِنَ الْمَجْدِ وَالْفَخَارِ

وَأَحُفَّ هَذَا الذَّوَاءَ بِشَارَاتِ النَّصْرِ وَالنَّجَاحِ

كَلَّا! إِنَّمَا هُوَ شَبَابٌ وَاحِدٌ، وَيَنْطَوِي مِنَ الْحَيَاةِ الضِّيَاءُ

إِنَّمَا هُوَ صَبَاحٌ وَاحِدٌ، وَيَغْشَى النَّهَارَ السَّحَابُ

إِنَّمَا هِيَ شَيْخُوخَةٌ وَاحِدَةٌ، تَتَلَاقَى فِيهَا الْأَشْجَانُ وَالْهُمُومُ، جُمُوعًا وَرَاءَ جُمُوعٍ

* * *

صَهٍ يَا لِسَانِي، إِنَّ كَلِمَاتِي أَسَالَتْ عَبَرَاتِ عَيْنَيْكِ

صَهٍ. صَهٍ. فَمَا أَغْزَرَ يَنْبُوعَ الدُّمُوعِ

يَا لِلْجُفُونِ الْبَائِسَاتِ. مَا أَسْرَعَ مَا تَبْكِي، وَهْيَ قَرِيبَةٌ إِلَى الرُّقَادِ

* * *

عُذْرًا لِلْفَتَاةِ! لَقَدْ وَسْوَسَتْ لَهَا نَزْوَةٌ مِنْ غَرَائِبِ نَزَوَاتِ الشَّبَابِ

أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ الْبَائِسَةُ! أَلْقِ مِنْ يَدِكَ هَذَا الْخِطَابَ

إِنَّهُ حَطَّمَ قَبْلَكِ، فَانْسَيْ أَنَّنِي كَتَبْتُهُ إِلَيْكِ

* * *

إِنَّ الَّتِي كَانَتْ تَنْظُرُ مِنْكِ إِلَى ذَلِكَ الْمُحَيَّا

هِيَ الْآنَ تَلْمَسُ بِرَاحَةِ الْبُنُوَّةِ شَعْرَكِ الْمُشْتَعِلَ

وَتُبَارِكُ هَذَا الشَّفَقَ الْحَزِينَ بِدُمُوعِ الصَّبَاحِ.

جغرافية! [جلال الدين الرومي](٩٠)

أَيُّهَا السَّائِحُ الَّذِي طَوَّفَ فِي الْآفَاقِ، وَشَهِدَتْ عَيْنَاهُ أَخْصَبَ أَرْضٍ

تَفِيضُ فِيهَا الْأَنْهَارُ، وَأَنْضَرَ مُرُوجٍ تَتَفَتَّحُ عَلَيْهَا الْوُرُودُ

قُلْ لِي بِعَيْشِكَ! أَيُّ بِلَادٍ فِيمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ هِيَ أَجْمَلُ الْبِلَادِ؟

... أَيَّتُهَا الْحَسْنَاءُ. أَتُرِيدِينَ أَنْ أَدُلَّكِ عَلَى الْبَلَدِ الَّذِي يَفُوقُ بِجَمَالِهِ كُلَّ

جَمَالٍ، وَيَسْمُو بِمَنْظَرِهِ عَلَى كُلِّ مَنْظَرٍ؟ ذَلِكَ يَا حَسْنَاءُ حَيْثُ يُقِيمُ الْأَحِبَّاءُ

وَأَخْصَبُ الْأَرْضِ تِلْكَ الَّتِي وَطِئَتْهَا قَدَمُ الْحَبِيبِ!

سينارا [إرنست داوسون](٩١)

أَمْسِ ... وَيْحِي مِنْ لَيْلَةِ أَمْسِ! بَيْنَ شَفَتَيَّ وَشَفَتَيْهَا

---

(٩٠) مولاي جلال الدِّين الرومي شاعرٌ فارسيٌّ وُلد في بلخ وعاش عيشة المتصوِّفة وأهل الطريق، وكانت له حلقة درس يفِدُ إليها المئات من أقطار البلاد، تُوفي سنة ٦٣١هـ.

(٩١) Ernest Dowson الشَّاعر الإنجليزي الذي مات في الثالثة والثلاثين من عمره ولو عاش واطرد له التقدم لما طاوله شاعرٌ في زمَانِهِ، له مقطوعات من الطراز الأول في روحها الغنائية ولكنها قليلة، وخُتمت حياته قبيل بداية القرن العشرين.

هَبَطَ ظِلُّكِ يَا سِينَارَا، وَانْكَبَّتْ أَنْفَاسُكِ

عَلَى رُوحِي، بَيْنَ الْقُبُلَاتِ وَالْكُئُوسِ

وَكُنْتُ كَسِيفَ الْبَالِ، مُوحِشًا مِنْ هَوًى قَدِيمٍ

نَعَمْ كُنْتُ كَئِيبًا فَأَطْرَقْتُ بِرَأْسِي

وَكُنْتُ وَفِيًّا لَكِ يَا سِينَارَا، عَلَى مِنْوَالِي!

* * *

قَلْبُهَا الدَّافِئُ أُبَادِلُهُ؟ حِسُّهُ آنَاءَ اللَّيْلِ يَخْفِقُ عَلَى صَدْرِي

وَيَنْطَوِي اللَّيْلُ كُلُّهُ وَهْيَ فِي ذِرَاعَيَّ بَيْنَ الْغَرَامِ وَالْأَحْلَامِ

لَا نُكْرَانَ كَانَتْ قُبُلَاتُهَا الْمُشْتَرَاةُ مِنْ ثَغْرِهَا الْوَرْدِيِّ حُلْوَةً شَهِيَّةً

بَيْدَ أَنَّنِي كَسِيفُ الْبَالِ مُوحِشٌ مِنْ هَوًى قَدِيمٍ

وَعَاوَدَتْنِي الْيَقَظَةُ وَشَهِدْتُ الْفَجْرَ الطَّالِعَ، وَقَلْبِي عَلَى مَا أَقُولُ شَهِيدٌ

إِنَّنِي وَفَّيْتُ لَكِ يَا سِينَارَا، عَلَى مِنْوَالِي!

* * *

نَسِيتُ كَثِيرًا، يَا سِينَارَا، وَمَعَ الرِّيحِ مَضَى كَثِيرٌ

وَرَمَيْتُ بِالْوَرْدِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، فِي الزِّحَامِ

رَاقِصًا، ثُمَّ رَاقِصًا، لَعَلِّي أَنْزِعُ مِنْ رَأْسِي سَوْسَنَكِ الذَّابِلَ الْمَهْجُورَ

وَلَكِنَّنِي كَسِيفُ الْبَالِ مُوحِشٌ مِنْ هَوًى قَدِيمٍ

إِيْ وَاللَّهِ. غَمَرَتْنِي الْكَآبَةُ وَالرَّقْصُ طَالَ

وَوَفَّيْتُ لَكِ يَا سِينَارَا، عَلَى مِنْوَالِي

* * *

مُسْتَزِيدًا مِنَ النَّغَمِ الْمَجْنُونِ، مُسْتَزِيدًا مِنَ الشَّرَابِ الْعَنِيفِ
ثُمَّ يَفْرُغُ الْخِوَانُ، وَيَخْبُو الضِّيَاءُ، وَيَسْكُنُ الْحِرَاكُ
وَتَهْبِطُ ظِلَالُكِ يَا سِينَارَا ... فَاللَّيْلُ لَيْلُكِ
وَإِنَّنِي لَكَسِيفُ الْبَالِ مُوحِشٌ مِنْ هَوًى قَدِيمٍ
جَوْعَانُ يَا سِينَارَا إِلَى الشَّفَةِ الْمُشْتَهَاةِ
وَوَفَّيْتُ لَكِ يَا سِينَارَا ... عَلَى مِنْوَالِي.

لا بُدَّ! [الجوهري «صاحب الصحاح»]

الْعِزُّ فِي الْعُزْلَةِ لَكِنَّهُ   لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

شر السباع [أبو سليمان الخطابي][٩٢]

شَرُّ السِّبَاعِ الْعَوَادِي دُونَهُ وَزَرٌ   وَالنَّاسُ شَرُّهُمُ مَا دُونَهُ وَزَرُ [٩٣]

* * *

كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ   وَمَا نَرَى بَشَرًا لَمْ يُؤْذِهِ بَشَرُ
قَدْ أُولِعَ النَّاسُ بِالتَّلَاقِي   وَالْمَرْءُ صَبٌّ إِلَى هَوَاهُ
وَإِنَّمَا مِنْهُمُ صَدِيقِي   مَنْ لَا يَرَانِي وَلَا أَرَاهُ

(٩٢) من الأدباء ورواة الحديث في القرن الرَّابع بسجستان.
(٩٣) الوزر: الحِمَى والملجأ.

متملِّقٌ صريحٌ [العتبي][٩٤]

لَا تَحْسَبَنَّ هَشَاشَتِي لَكَ عَنْ رِضًى	فَوَحَــقِّ فَضْــلِكَ إِنَّنِــي أَتَمَلَّــقُ
وَلَقَـدْ نَطَقْـتُ بِشُـكْرِ بِـرِّكَ مُفْعَمًـا	وَلِسَــانُ حَــالِي بِالشِّــكَايَةِ أَنْطَــقُ

سلو [أُسامة بن منقذ][٩٥]

لَــمْ يَبْــقَ لِــي فِــي هَــوَاكُمُ أَرَبٌ	سَــــلَوْتُكُمْ، وَالْقُلُــــوبُ تَنْقَلِــــبُ
أَوْضَـحْتُمُ لِـي سُـبُلَ السَّـلْوِ وَقَـدْ	كَانَـتْ لِـيَ السُّـبْلُ فِيـهِ تَنْشَـعِبُ
إِلَامَ دَمْعِــيَ مِــنْ هَجْـرِكُمْ سَـرِبٌ	قَـانٍ، وَقَلْبِـي مِـنْ غَـدْرِكُمْ يَجِـبُ
إِنْ كَــانَ هَــذَا لَمَــا تَعَبَّــدَنِي الــْ	ــحُبُّ، لَقَــدْ أَعْتَقَتْنِــيَ الرِّيَــبُ
أَحْبَبْــتُكُمْ فَــوْقَ مَــا تَوَهَّمَــهُ النــْ	ــنَاسُ وَخُنْـتُمْ أَضْـعَافَ مَـا حَسَـبُوا

عناق أم خناق [علي بن الحسين أبو الفرج][٩٦]

تَعَانَقْنَــــا لِتَوْدِيــــعِ عِشَــــاءً	وَقَــدْ شَــرَقَتْ بِمَــدْمَعِهَا الْحِــدَاقُ
وَضَــيَّقْنَا الْعِنَــاقَ لِفَــرْطِ شَــوْقٍ	فَمَــا نَــدْرِي عِنَــاقٌ أَمْ خِنَــاقُ

في كلمات [علي بن الحسن القهستاني][٩٧]

وَمُقْرَطَـقٌ[٩٨] يَسْـطُو بِغُـرَّةِ وَجْهِـهِ	نُـورٌ مِـنَ الْحُسْـنِ الْبَـدِيعِ عَشِـقْتُهُ

---

(٩٤) محمد بن عبد الجبَّار العتبي النَّاظم الناثر، نشأ بالري في أواخر القرن الرَّابع، وله مشاركة في التاريخ والرواية.

(٩٥) من أُمراء شيزر – بقرب حماة – وكانوا يجمعون الأدب إلى الإمارة وهو أشعرهم وأنبغهم، تُوفي سنة ٥٨٤هـ.

(٩٦) شاعر ناثر تولَّى الكتابة لعضد الدولة، وكانت نشأته بين الري وجرجان في أواخر القرن الرابع.

(٩٧) القهستانيُّ من أدباء خراسان وورد بغداد في أوائل القرن الخامس ومدح خلفاءها، وكان يميلُ إلى الفلسفة والمجون ويُتَّهمُ في دينه من أجلهما.

(٩٨) المقرطق لابس القرطق وهو قباء ذو طاقٍ واحدٍ.

عَاقَرْتُـــهُ، أَسْـــكَرْتُهُ، نَاجَيْتُـــهُ، جَدَّلْتُـــــهُ، قَبَّلْتُـــــهُ، سَـــــرَّحْتُهُ

سكير [أعرابي]

باع أعرابيٌّ جزَّة صُوفٍ وأخذ بثمنها خمرًا فغضبت امرأته فقال:

غَضِـبْتِ عَلَـيَّ لِأَنْ شَـرِبْتُ بِصُـوفِ وَلَـئِنْ غَضِـبْتِ لَأَشْـرَبَنْ بِخَـرُوفِ!
وَلَـئِنْ غَضِـبْتِ لَأَشْـرَبَنَّ بِنَعْجَـةٍ دَهْسَـاءَ مَالِئَـةِ الْإِنَـاءِ سَـحُوفِ[٩٩]
وَلِـئِنْ غَضِـبْتِ لَأَشْـرَبَنَّ بِنَاقِـةٍ كَوْمَاءَ نَاوِيَةِ الْعِظَامِ صَفُوفِ [١٠٠]
وَلَـئِنْ غَضِـبْتِ لَأَشْـرَبَنَّ بِسَـابِحٍ نَهْـدٍ أَشَـمِّ الْمَنْكِبَـيْنِ مُنِيـفِ
وَلَـئِنْ غَضِـبْتِ لَأَشْـرَبْنَّ بِوَاحِـدِي وَلَأَجْعَلَـنَّ الصَّـبْرَ عَنْـهُ حَلِيفِـي

وسكيرة

وكانت أمُّ حكيم بنت يحيى شاعرة تحبُّ الخمر وترهن حليتها لتشرب، ومن قولها:

أَلَا فَاسْقِيَانِي مِنْ شَرَابِكُمَا الْوَرْدِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَنْفَدْتُ، فَاسْتَرْهِنَا بُرْدِي
سِوَارِي وَدُمْلُوجِي وَمَا مَلَكَتْ يَدِي مُبَاحٌ لَكُمْ نَهَبٌ، وَلَا تَقْطَعُوا وِرْدِي

وسكيرة أخرى

وكانت عبلة بنت خالد التميميَّة تقولُ الشعر أيضًا وتُفرط في مُعاقرة الخمر، وقد أرسلها زوجها محجن الجشمي بأنحاء سمن على راحلتين لتبيعها، فباعت السمن والراحلتين وشربت بثمنها خمرًا، ورهنت ابن أخي

(٩٩) سمينة لها طبقتان من الشَّحم.
(١٠٠) ضخمة السنام تصف بين محلبيها عند الحلب.

زوجها وقالت وهي هاربة:

شَـــرِبْتُ بِرَاحِلَتَـــيْ مِحْجَـــنٍ فَـــوَاوَيْلَتِي. مِحْجَـــنٌ قَـــاتِلِي!

وَبِـــابْنِ أَخِيـــهِ عَلَـــى لَـــذَّةٍ وَلَـــمْ أَحْتَفْـــلْ عُذْلَـــةَ الْعَـــاذِلِ

والسكير الأكبر! [المنخل اليشكري][١٠١]

وَلَقَـــدْ شَـــرِبْتُ مِـــنَ الْمُـــدَا مَـــةِ بِالصَّـــغِيرِ وَبِـــالْكَبِيرِ

وَشَـــرِبْتُ بِالْخَيْـــلِ الْإِنَـــا ثِ وَبِالمُطَهَّمَـــةِ الـــذُّكُورِ

فَـــإِذَا انْتَشَـــيْتُ فَـــإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَـــقِ وَالسَّـــدِيرِ

وَإِذَا صَـــحَوْتُ فَـــإِنَّنِي رَبُّ الشُّـــوَيْهَةِ وَالْبَعِيـــرِ

جاهلي يُحرِّمُ الخمر [صفوان بن أُمية]

لا جرم حرَّمها الإسلامُ بتَّة، ووُجِدَ في الجاهلية من يُحرِّمها ومنهم القائل:

رَأَيْـــتُ الْخَمْـــرَ صَـــالِحَةً وَفِيهَـــا مَنَاقِـــبُ تُفْسِـــدُ الرَّجُـــلَ الكَرِيمَـــا

فَـــلَا، وَاللهِ، أَشْـــرَبُهَا حَيَـــاتِي وَلَا أَشْـــفِي بِهَـــا أَبَـــدًا سَـــقِيمَا

دنيا بلا ساعة [أوليفر جوجارثي][١٠٢]

أَلَا تُصْبِحُ الدُّنْيَا أَمْتَعَ وَأَشْهَى، لَوِ اسْتَرَحْنَا مِنْ هَذِهِ السَّاعَاتِ

---

(١٠١) شاعرٌ جاهليٌّ كان من أجمل العرب، وكان مُستسلمًا للخمر والهوى، وهو الذي اتُّهم بالمُتجرِّدة امرأة النعمان بن المنذر، وكان يشبِّبُ بهند أم عمرو بن هند، ويمضي على رأسه في سبيل هواه.

(١٠٢) **Oliver St. John Gogarthy** من أحدث شعراء العصر الحاضر في إنجلترا وممَّن أخذوا أنفسهم بالمعاني المفهومة ولم يلوثوا أخيلتهم بأوهام المستقبليين وجماعة ما وراء الواقع (سريالزم).

سِيَّانِ مَا صَمَتَ مِنْهَا، وَمَا شَقَّ الْكَرَى بِالْوَسَاوِسِ وَالدَّقَاتِ

* * *

لَيَكُونَنَّ ذَلِكَ أَكْرَمَ لِلْإِنْسَانِ وَأَجْدَرَ بِحَقِّهِ

مِنْ أَنْ تُدِيرَهُ تُرُوسٌ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ مِنَ الْقَصْدِيرِ

* * *

عَجَبًا وَاللهِ. مَا لِحَيَاةِ ابْنِ آدَمَ يَحْسِبُهَا عَلَيْهِ هَذَا الشَّيْءُ الْعَجِيبُ ...

هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي يُفَتِّتُ الثَّوَانِيَ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى بَيَانِ السِّنِينَ

* * *

لَوِ اسْتَرَحْنَا مِنْهَا لَاسْتَرَحْنَا مِنْ تَنْظِيمِ أَوْقَاتِ الرَّحِيلِ

وَعَجَزْنَا عَنِ الْقِتَالِ بِالدَّارِعَةِ، وَتَصْوِيبِ الْمِدْفَعِ فِي الْمَيْدَانِ

* * *

أَجَلْ، وَلَشَقَّ عَلَيْنَا تَوْقِيتُ تِلْكَ الْآلَاتِ الَّتِي تَمْلَأُ الْمَدَائِنَ بِالدُّخَانِ

وَتَقْذِفُ بِالنَّاسِ مَغِيظَةً – وَلَهَا الْحَقُّ – إِلَى غَيَاهِبِ الْقُبُورِ!

* * *

لَوِ اسْتَرَحْنَا مِنَ السَّاعَاتِ وَهَمَمْنَا بِالرَّحِيلِ إِلَى بَلَدٍ يَعْمُرُهُ مَنْ يَعْمُرُهُ

لَكَانَ قُصَارَى الْأَمْرِ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى تَأْجِيرِ الْمَرْكَبَاتِ

* * *

نَعَمْ وَنَرْجِعَ إِلَى الْحَارِسِ الْأَجِيرِ الَّذِي يَعْنِفُ بِإِيقَاظِنَا فِي الصَّبَاحِ

وَيَتَجَاوَبُ الْفَضَاءُ وَرَاءَ الْخَانِ بِأَصْدَاءِ الْبُوقِ اللَّامِعِ الطَّوِيلِ

* * *

إِنَّ نُجُومَنَا تِلْكَ الَّتِي فِي السَّمَاءِ، لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السَّاعَاتِ، وَمَا لَهَا مِنْ لَوْلَبٍ

يَنْبُضُ بِالشَّرِّ الَّذِي يُفَرِّخُ بِهِ الْوَقْتُ كُلَّمَا قَيَّدْنَاهُ بِالْمَعَاصِمِ وَالْجُدْرَانِ

* * *

لَا جَرَمَ تَغْمِزُ النُّجُومُ وَتَسْخَرُ الْأَجْوَاءُ

مِنْ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ شَرَابِهِ، بِدَقَّةٍ مِنْ تِلْكَ التُّرُوسِ

* * *

وَيَضِجُّ إِبْلِيسُ ضَاحِكًا إِذْ يَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْأَرْوَاحِ

يَخْلُقُهَا اللَّهُ حُرَّةً أَبَدِيَّةً، وَتَرْبِطُ نَفْسَهَا بِحَرَكَةِ أَدَاةٍ

* * *

وَلَكَمْ عَجِبْتُ فِي هَذَا الْمَلْعَبِ الْعَبُوسِ، فَلَا أَدْرِي أَإِنْسَانٌ أَمْ شَيْطَانٌ

ذَلِكَ الَّذِي يَهْتِفُ أَوَّلَ مَرَّةٍ! قَدْ حَانَ الْوَقْتُ أَيُّهَا السَّادَةُ ... الْوَقْتُ قَدْ حَانَ

* * *

أَلَا فَاطْرَحُوا عَنَّا تِلْكَ الْأَدَاةَ الَّتِي تَرُدُّ النَّاسَ أَشْبَاحًا مُسَخَّرِينَ

تُجَزِّأُ لَهُمُ الْحَيَاةُ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَتَمْتَلِئُ رُءُوسُهُمْ بِالسَّفْسَافِ الْمَهِينِ

* * *

اطْرَحُوا حَوَاجِزَ الزَّمَانِ وَأَرْصَادَ الْحَيَاةِ، وَكُلُّ وَهَقٍ مِنْ أَوْهَاقِ الِاسْتِعْبَاءِ، يَئُولُ بِالنَّاسِ إِلَى حُطَامٍ

أَتَرَاهَا رَبَّعَتِ الدَّائِرَةَ؟ أَتَرَاهَا كَعَّبَتِ الْكُرَةَ؟ كَلَّا ... فَهَذِهِ تَقَاوِيمُهُمْ جَمِيعًا تُخْطِئُ الْحِسَابَ، وَتُلْجِئُنَا إِلَى السَّنَةِ الْكَبِيسِ.

* * *

وَكَمَا تَتَوَثَّبُ السَّنَةُ الْكَبِيسُ خَلِيقٌ بِنَا نَحْنُ أَنْ نَتَوَثَّبَ صُعُدًا وَرَاءَ كُلِّ مَوْعِدٍ يَرْبِطُنَا بِعَبِيدِ السَّاعَاتِ

* * *

تَسْأَلُنِي: كَيْفَ نَعْرِفُ الثَّوَانِيَ يَوْمَذَاكَ؟ نَعْرِفُهَا بِمِقْدَارِ مَا تَنْفَلِتُ صَيْحَةٌ مِنَ الشَّحْرُورِ وَهْوَ يَهْوِي إِلَى خَمِيلَةِ الْوَادِي

* * *

وَالدَّقَائِقُ كَيْفَ نَعْرِفُهَا يَوْمَذَاكَ؟ نَعْرِفُهَا بِمِقْدَارِ مَا نَكْرَعُ كُوبًا مِنَ الْجِعَةِ، أَوْ نُفْرِغُ التَّبْغَ مِنَ الْبِيبِ

* * *

بَلْ نَتَّخِذُ الْقُلُوبَ مَقَايِيسَ لِلزَّمَانِ، كُلَّمَا خَفَقَتْ تَدَفَّقَتِ الْحَيَاةُ بِالسُّرُورِ وَعَمَرَتْ بِالْأَغَانِي وَالْعَزَمَاتِ

* * *

إِنَّ سَاعَاتِنَا لَتَخْتَلِسُ حَيَاتَنَا، وَتَنْقَضِي بِمَا عَبَرَ مِنْ أَوْقَاتِنَا

أَمَّا الْقُلُوبُ فَكُلَّمَا انْدَفَعَتْ نَابِضَةً، زَادَ مَعَهَا نَصِيبُ الْحَيَاةِ.

يجري من الفراق [البحتري]

لَا تَعْـــــذُلَنِّي فِـــــي مَسِـــــيرِ ... كَ يَـــوْمَ سِـــرْتُ وَلَـــمْ أُلَاقِـــكْ
إِنِّـــــي خَشِـــــيتُ مَوَاقِفًـــــا ... لِلْبَـيْنِ تَسْـفَحُ غَـرْبَ مَاقِـكْ[١٠٣]
وَعَلِمْـــتُ مَـــا يَلْقَـــى الْمُتَيَـــ ... ــيَمُ عِنْـدَ ضَـمِّكَ وَاعْتِنَاقِـكْ
وَعَلِمْـــــــتُ أَنَّ لِقَاءَنَـــــــا ... سَـــبَبُ اشْـــتِيَاقِي وَاشْـــتِيَاقِكْ
فَتَرَكْـــــــتُ ذَاكَ تَعَمُّـــــــدًا ... وَخَرَجْـتُ أَهْـرَبُ مِـنْ فِرَاقِـكْ

نظرة [عبد الله بن الدمينة]

رَمَتْنِـي بِطَـرْفٍ لـوْ كَمِيًّـا رَمَـتْ بِـهِ ... لَبُـــلَّ نَجِيعًـــا نَحْـــرُهُ وَبَنَائِقُـــهْ
وَلَمْـــحٌ بِعَيْنَيْهَـــا كَـــأَنَّ وَمِيضَـــهُ ... وَمِيضُ حَيًا تُهْدَى إِلَيَّ شَقَائِقُهْ[١٠٤]

ونظرة [أعرابي]

نَظَـرْتُ إِلَيْهَـا حِـينَ مَـرَّتْ كَأَنَّهَـا ... عَلَى ظَهْرِ عَادِيٍّ فَتَاةٌ مِنَ الْجِنِّ[١٠٥]
وَلِـي نَظَـرٌ لَـوْ كَـانَ يُحْبِـلُ عَاشِـقٌ ... بِنَظْرَتِـهِ أُنْثَـى لَقَـدْ حَبِلَـتْ مِنِّـي

إما الغرام أو اللوم! [شاعر جعدي]

لَا خَيْـرَ فِـي الْحُبِّ وَقْفًا لَا تُحَرِّكُهُ ... عَـوَارِضُ الْيَـأْسِ أَوْ يَرْتَاحُـهُ الطَّمَـعُ

---

(١٠٣) الماق والموق مجرى الدَّمع من العين، والبحتري صاحب هذه الأبيات من أشهر شعراء العربية في القرن الثالث.

(١٠٤) الكمي: الرجل المدرع المسلح، والنجيع: الدم، والبنائق: جمع بنيقة رقعة يُوسَّع بها القميص عند الرقبة، والحيا: المطر، والشقائق: زهرٌ أحمرُ فيه نقط سوداء. وعبد الله بن الدمينة صاحب البيتين شاعرٌ بدوِيٌّ يُنسب إلى أُمِّه، واسم أبيه عبيد الله، وكان له غزلٌ وفخرٌ وقلَّما مدح، قُتلَ حوالي ١٤٠هـ.

(١٠٥) العادي العظيم نسبة إلى قوم عاد، والمقصود هنا فرس عادي.

لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهَا جَزَعِي   لَكُنْـتُ أَمْلِـكُ مَـا آتِـي وَمَـا أَدَعُ
إِذَا دَعَــا بِاسْــمِهَا دَاعٍ لِيُحْزِنَنِــي   كَـادَتْ لَـهُ شُـعْبَةٌ مِنْ مُهْجَتِي تَقَـعُ
لَا أَحْمِـلُ اللَّـوْمَ فِيهَـا وَالْغَـرَامَ بِهَـا   مَا حَمَّلَ اللهُ نَفْسًا فَـوْقَ مَا تَسَـعُ

حليفُ الذِّئب [الأُحيمر السعدي]

أَرَانِي وَذِئْـبَ الْقَفْرِ إِلْفَـيْنِ بَعْدَ مَـا   بَــدَأْنَا كِلَانَــا يَشْــمَئِزُّ وَيَــذْعُرُ
تَــأَلَّفَنِي لَمَّـــا دَنَـــا وَأَلِفْتُـــهُ   وَأَمْكَنَنِـي لِلرَّمْـيِ لَـوْ كُنْـتُ أَغْـدِرُ
وَلَكِنَّنِــي لَـــمْ يَــأْتَمِنِّيَ صَــاحِبٌ   فَيَرْتَابُ بِي، مَا دَامَ لَا يَتَغَيَّرُ(١٠٦)

إمامة العشاق [عشرقة المُحاربية](١٠٧)

جَرَيْتُ مَعَ الْعُشَّاقِ فِي حَلْبَةِ الْهَوَى   فَفُقْتُهُمُ سَبْقًا، وَجِئْتُ عَلَى رِسْلِي
فَمَا لَبِسَ الْعُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الْهَوَى   وَلَا خَلَعُـوا إِلَّا الثِّيَـابَ الَّتِـي أُبْلِـي
وَلَا شَـرِبُوا كَأْسًـا مِـنَ الْحُـبِّ مُـرَّةً   وَلَا حُلْــوَةً إِلَّا شَــرَابُهُمُ فَضْـــلِي

مُنصفٌ! [الحكم بن عبدل الأسدي](١٠٨)

أَكُـفُّ الْأَذَى عَـنْ أُسْـرَتِي وَأَذُودُهُ   عَلَـى أَنَّنِـي أَجْـزِي الْمُقَـارِضَ بِـالْقَرْضِ
وَأَبْـذُلُ مَعْرُوفِـي وَتَصْـفُوا خَلِيقَتِـي   إِذَا كَـدُرَتْ أَخْـلَاقُ كُـلِّ فَتًى مَحْـضِ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْحَقُّ نَابَنِي   وَفِي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلَا يَقْضِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ،   وَلَا الْبُخْلُ، فَاعْلَمْ، مِنْ سَمَائِي وَلَا أَرْضِي

---

(١٠٦) كان لصًّا مُهدر الدم فكان يأنسُ إلى الوحش ويفرق من الإنس وهو القائل:
عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذْ عَوَى   وَصَــوَّتَ إِنْسَــانٌ فَكِــدْتُ أَطِيــرُ
يقول ابن قتيبة – وهو من علماء القرن الثالث: إنَّ الأحيمر مُتأخِّر أدركه شيوخه

(١٠٧) شاعرة من بني مُحارب، جاهلية، تُعدُّ أغزل شواعر اللغة العربية.

(١٠٨) شاعرٌ أمويٌّ كان أعرج أحدب خبيث اللسان على خلافِ ما قال في هذه الأبيات، وهي استثناء فضله من أجله الحجاج بزيادة ألف درهم في عطائه على عطاء الشعراء.

أقوى من الموت [طهمان بن عمرو][١٠٩]

وَلَـوْ أَنَّ لَيْلَـى الْحَارِثِيَّـةَ سَـلَّمَتْ   عَلَيَّ مُسَجًّى فِي الثِّيَابِ أَسُوقُ[١١٠]
حَنُـوطِي وَأَكْفَـانِي لَـدَيَّ مُعَـدَّةٌ   وِلِلـنَّفْسِ مِـنْ قُـرْبِ الْوَفَـاةِ شَـهِيقُ
إِذَنْ لَحَسِبْتُ الْمَـوْتَ يَتْرُكُنِـي لَهَـا   وَيُفَـرَجُ عَنِّـي غمُّـهُ فَـأُفِيقُ

نور بغير قرى [علي بن الجهم][١١١]

... وَقُلْنَ لَنَـا: نَحْنُ الْأَهِلَّـةُ، إِنَّمَا   نُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ وَلَا نَقْرِي
فَـلَا نَيْـلَ إِلَّا مَـا تَـزَوَّدَ نَـاظِرٌ   وَلَا وَصْلَ إِلَّا بِالْخَيَالِ الَّذِي يَسْرِي

طب نواسي [عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب][١١٢]

لَا تُفْـشِ أَسْـرَارَكَ لِلنَّـاسِ   وَدَاوِ أَحْزَانَـكَ بِالْكَـاسِ
فَـإِنَّ إِبْلِـيسَ عَلَـى مَـا بِـهِ   أَرْأَفُ بِالنَّـاسِ مِـنَ النَّـاسِ

سعة الدنيا [ابن عبد ربه][١١٣]

صِلْ مَنْ هَوِيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مُعَاتَبَةً   فَأَطْيَبُ الْعَيْشِ وَصْلٌ بَيْنَ خِلَّيْنِ
وَاقْطَـعْ حَبَائِـلَ خِـلٍّ لَا تُلَائِمُـهُ   فَرُبَّمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى اثْنَيْنِ

الخالق والخلق [المواسي][١١٤]

مَا الدُّنْيَا؟ مَا الْأُخْرَى؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ رَمَزَ الْحَبِّ

---

(١٠٩) طهمان بن عمرو الكلابي شاعر إسلامي من صعاليك العرب وفتَّاكهم.
(١١٠) أي في سياق الموت.
(١١١) كان من شعراء المتوكل، وله شعرٌ مطبوعٌ سلسُ العِبَارَة، وتُوفي في مُنتصف القرن الثالث.
(١١٢) من شجعان الطَّالبيين، دعا إلى نفسه سنة ١٧٧ وخلع بيعة بني مروان ولم يطل عهده.
(١١٣) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب «العقد الفريد»، ويُقالُ: إنَّ المُتنبي كان يستنشد شعره ويسمِّيه مليح الأندلس تُوفي سنة ٣٢٨هـ.
(١١٤) شاعر فارسي نبغ في منتصف القرن الحادي عشر للميلاد، ولُقِّبَ بملك الشُّعراء، وسَفَرَ في المهام السياسية بين ملك شاه وسلاطين آل عثمان، فأفلح في سفارته، وكان مع اضطلاعه بالسياسة من أصحاب التصوف بين الشعراء.

إِلَى ذَلِكَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَمَا الْجَمَالُ إِنْ لَمْ يَكُنْ شُعَاعَ النُّورِ
الَّذِي يَتَأَلَّقُ مِنْ حَوْلِهِ؟

* * *

حَقٌّ لِلْجَدْوَلِ أَنْ يُزْهَى بِنَفْسِهِ
إِذْ كَانَ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فَيْضُهُ وَمِدَادُهُ
فَمَا هُوَ بِالْجَدْوَلِ بَعْدُ
وَلَكِنَّهُ هُوَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ حَيْثُ كَانَ

* * *

تَنْجُمُ الْبِذْرَةُ الصَّغِيرَةُ مِنَ الْأَرْضِ
فَتُولَدُ لَهَا الْأَوْرَاقُ وَاللِّحَاءُ وَالثَّمَرَاتُ
لَكِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَاسِقَةَ الَّتِي نَجَمَتْ هَكَذَا
هِيَ وَدِيعَةُ حَبَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا تَزِيدُ!

* * *

أَيَّتُهَا الطَّلْعَةُ الْمَعْشُوقَةُ! قِفِي بَيْنَ أَلْفِ مِرْآةٍ
وَانْظُرِي حَوْلَكِ تَرَيْ أَلْفَ وَجْهٍ تَلْقَّاكِ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. وَلَكِنَّهَا كُلَّهَا هِيَ أَنْتِ دُونَ سِوَاكِ

* * *

فَهَبْ لِلرَّسَّامِ قُدْرَةً يَحْكِي بِهَا هَذَا الْجَبِينَ الْوَضَّاحَ

وَقُلْ: مَا الْعُيُونُ مُؤْتَلِقَاتٍ بِالنُّورِ؟ وَمَا الْخُدُودُ يُخْجِلْنَ الْوُرُودَ؟

وَمَا الْكَلَامُ؟ وَمَا الصُّوَرُ؟ وَمَا الْأَصْدَاءُ وَالْأَنْغَامُ؟

مَا كُلُّ أُولَئِكَ إِلَّا «هُوَ» الَّذِي لَا شَيْءَ سِوَاهُ.

مفارقة [أحمد بن مطرف العسقلاني][١١٥]

الْعُمُـرُ يُنْفَـقُ فِـي الـدُّنْيَا مُجَازَفَـةً ... وَالْمَـالُ يُنْفَـقُ فِيهَـا بِـالْمَوَازِينِ

بشاشة مقطبة [الحسن بن رشيق القيرواني][١١٦]

أُحِـبُّ أَخِـي وَإِنْ أَعْرَضْـتُ عَنْـهُ ... وَقَـلَّ عَلَـى مَسَـامِعِهِ كَلَامِـي

وَلِـي فِـي وَجْهِـهِ تَقْطِيـبُ رَاضٍ ... كَمَـا قَطَّبْـتُ فِـي وَجْـهِ الْمُـدَامِ

وَرُبَّ تَجَهُّـمٍ فِـي غَيْـرِ بُغْـضٍ ... وَضِـغْنٍ كَـامِنٌ تَحْـتَ ابْتِسَـامِ

عذر [إبراهيم الصولي]

إِنَّ امْـرَأً ضَـنَّ بِمَعْرُوفِـهِ ... عَنِّـي لَمَبْـذُولٌ لَـهُ عُـذْرِي

مَـا أَنَـا بِالرَّاغِـبِ فِـي خَيْـرِهِ ... إِنْ كَـانَ لَا يَرْغَـبُ فِـي شُـكْرِي

كريم [إبراهيم الصولي]

أَسَـدٌ ضَـارٍ إِذَا هَيَّجْتَـهُ ... وَأَبٌ بَـرٌّ إِذَا مَـا اقْتَـدَرَا

يَعْـرِفُ الْأَقْصَـى إِذَا أَثْـرَى وَلَا ... يَعْـرِفُ الْأَدْنَـى إِذَا مَـا افْتَقَـرَا

---

(١١٥) أبو الفتح العسقلاني أديب فقيه ولي القضاء بدمياط وتُوفِّي سنة ٤١٣هـ.

(١١٦) صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده تُوفِّي سنة ٤٦٣هـ.

صراحة [إبراهيم الصولي][١١٧]

خَـــــلِّ النِّفَـــــاقَ لِأَهْلِـــــهِ   وَعَلَيْـــكَ فَـــالْتَمِسِ الطَّرِيقَـــا
وَارْبَـــأْ بِنَفْسِـــكَ أَنْ تُـــرَى   إِلَّا عَـــــدُوًّا أَوْ صَـــــدِيقَا

بوتقة الحب [لويس ألكساندر][١١٨]

إِلَيْكِ أَرُدُّ الْمَرَارَةَ الَّتِي أَعْطَيْتِنِيهَا
يَوْمَ سَأَلْتُكِ الْجَمَالَ الْمَرِحَ الطَّلِيقَ

* * *

أَرُدُّ إِلَيْكِ الْمَرَارَةَ مَغْسُولَةً بِالْعَبَرَاتِ
فَالْآنَ هِيَ جَمَالٌ صَقَلَتْهُ السِّنُونَ

* * *

أَخَذْتُهَا مَرَارَةً وَأَعَدْتُهَا جَمَالًا، فَهَكَذَا صَنَعْتُهَا
إِذْ نَقَّيْتُهَا مِنْ آفَتِهَا مُنْذُ عَهْدٍ بَعِيدٍ.

وصلة تجميل! [ابن أبي مُرَّة المكي][١١٩]

تَقُولُ اتَّئِدْ لَا يَدْعُكَ النَّاسُ مُمْلِقًا   وَتُـزْرِي بِمَـنْ تَسْـعَى لَـهُ وَتَعُـولُ
فَقُلْـتُ أَبَـتْ نَفْـسٌ عَلَـيَّ كَرِيمَـةٌ   وَطَـارِقُ لَيْـلٍ غَيْـرَ ذَاكَ يَقُـولُ

---

(١١٧) إبراهيم بن العباس بن محمد ويكنّى أبا إسحاق، وأصله تركي، وكان مولى ليزيد بن المهلَّب (١٧٦–٢٤٣).

(١١٨) Lewis Alexander شاعر أمريكي زنجي وُلد في واشنطون سنة ١٩٠٠، ودرس الأدب وعمل في الصحافة

(١١٩) أبو عمارة من شُعراءِ الدَّولة الهاشمية، وقلَّما تجاوز النَّسيب.

أَلَـمْ تَعْلَمِـي يَـا عَمْـرَكِ اللهَ أَنَّنِـي كَـرِيمٌ عَلَـى حِـينِ الْكِـرَامُ قَلِيـلُ
وَإِنِّـيَ لَا أَخْـزَى إِذَا قِيـلَ مُمْلِـقٌ سَـخِيٌّ وَأَخْـزَى أَنْ يُقَـالَ بَخِيـلُ
فَـلَا تَتْبَعِـي الْعَـيْنَ الْغَوِيَّـةَ وَانْظُـرِي إِلَى عُنْصُرِ الْأَحْسَابِ كَيْفَ يَئُولُ
وَلَا تَـذْهَبَنْ عَيْنَـاكِ فِـي كُـلِّ شَـرْمَحٍ لَهُ قَصَبٌ جُوْفُ الْعِظَامِ أَسِيلُ[120]
عَسَـى أَنْ تَمَنَّـى عِرْسُـهُ أَنَّنِـي لَهَـا بِـهِ، حِـينَ يَشْـتَدُّ الزَّمَـانُ، بَـدِيلُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطِّوَالِ فَضَلْتُهُمْ بِعَارِفَـةٍ حَتَّـى يُقَـالَ طَوِيـلُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا إِذَا لَـمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
وَكَـائِنْ رَأَيْنَـا مِـنْ فُـرُوعٍ طَوِيلَـةٍ تَمُـوتُ إِذَا لَـمْ تُحْـيِهِنَّ أُصُـولُ
فَإِنْ لَا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلًا فَإِنَّنِي لَـهُ بِالْفِعَـالِ الصَّـالِحَاتِ وَصُـولُ
وَلَـمْ أَرَ كَـالْمَعْرُوفِ: أَمَّـا مَذَاقُـهُ فَحُلْـوٌ وَأَمَّـا وَجْهُـهُ فَجَمِيـلُ

هو لا يشكو! [ابن أبي مُرَّة المكي]

أَضْـعَفَ وَجْـدِي وَزَادَ فِـي سَـقَمِي أَنْ لَسْـتُ أَشْكُو الْهَوَى إِلَى أَحَدِ
آهٍ مِـنَ الْحُـبِّ! آهِ مِـنْ كَمَـدِي! إِنْ لَـمْ أَمُـتْ فِـي غَـدٍ فَبَعْـدَ غَـدِ
جَعَلْـتُ كَفِّـي عَلَـى فُـؤَادِيَ مِـنْ حَـرِّ الْهَـوَى وَانْطَوَيْـتُ فَـوْقَ يَـدِي
كَـأَنَّ قَلْبِـي إِذَا ذَكَـرْتُكُمُ فَرِيسَـةٌ بَـيْنَ سَـاعِدَيْ أَسَـدِ

خروف [أعرابي وتُروى لهُذيل بن ميسر من فزارة؟]

تَزَوَّجْـتُ اثْنَتَـيْنِ لِفَـرْطِ جَهْلِـي بِمَـا يَشْـقَى بِـهِ زَوْجُ اثْنَتَـيْنِ
فَقُلْـتُ: أَصِـيرُ بَيْنَهُمَـا خَرُوفًـا يُـنَعَّمُ بَـيْنَ أَكْـرَمِ نَعْجَتَـيْنِ

(١٢٠) أي طويلٌ ممدودُ الأعضاءِ من بسطة عظامه.

فَصِرْتُ كَنَعْجَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي ... تُدَاوَلُ بَيْنَ أَخْبَثِ ذِئْبَتَيْنِ
رِضَى هَذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هُذِي ... فَمَا أَعْرَى مِنِ احْدَى السَّخْطَتَيْنِ
وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ ضُرٍّ ... كَذَاكَ الضُّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ
لِهَذِي لَيْلَةٌ وَلِتِلْكَ أُخْرَى! ... عِتَابٌ دَائِمٌ فِي اللَّيْلَتَيْنِ
فَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَبْقَى كَرِيمًا ... مِنَ الْخَيْرَاتِ، مَمْلُوءَ الْيَدَيْنِ
فَعِشْ عَزَبًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْهُ ... فَضَرْبًا فِي عِرَاضِ الْجَحْفَلَيْنِ

المروءة أو «الجنتلمان» [سالم بن وابصة][١٢١]

أُحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا
سَلِيمَ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطًا أَذَى ... وَلَا مَانِعًا خَيْرًا وَلَا نَاطِقًا هُجْرَا
إِذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ ... فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرَا
غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ ... وَإِنْ زَادَ شَيْءٌ، عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقْرَا

أعور مليح [ابن جني][١٢٢]

لَهُ عَيْنٌ أَصَابَتْ كُلَّ عَيْنٍ ... وَعَيْنٌ قَدْ أَصَابَتْهَا الْعُيُونُ

نسج العناكب على إنسان [أبو النجيب شداد][١٢٣]

عَبْدُكَ تَحْتَ الْحَبْلِ[١٢٤] عُرْيَانُ ... كَأَنَّهُ – لَا كَانَ – شَيْطَانُ
يَغْسِلُ أَثْوَابًا كَأَنَّ الْبِلَى ... فِيهَا خَلِيطٌ، وَهْيَ أَوْطَانُ

---

(١٢١) شاعر إسلامي من التابعين.
(١٢٢) عثمان بن جني النَّحوي. أبوه رُومي ويُعدُّ من أئمة اللغة، تُوفي في خلافة القادر سنة ٣٩٢هـ.
(١٢٣) يُلقَّب الظاهر من شُعراء القرن الرَّابع، وكان يُلازِمُ الوزير أبا محمَّد المهلَّبي.
(١٢٤) حبل الغسيل.

أَرَقُّ مِـــنْ دِينِـــيَ إِنْ كَـــانَ لِـــي ‏ ‏ دِيـــنٌ، كَمَـــا لِلنَّـــاسِ أَدْيَـــانُ
يَقُـــولُ مَـــنْ يُبْصِـــرُنِي مُعْرِضًـــا ‏ ‏ فِيهَـــا، وَلِلْأَقْـــوَالِ بُرْهَـــانُ
هَـذَا الَّـذِي قَـدْ نَسَـجَتْ فَوْقَـهُ ‏ ‏ عَنَاكِـــبُ الْحِيطَـــانِ إِنْسَـــانُ

سحاب [القاضي التنوخي][١٢٥]

سَحَابٌ أَتَى كَالْأَمْنِ بَعْدَ التَّخَوُّفِ ‏ ‏ لَهُ فِي الثَّرَى فِعْلُ الشِّفَاءِ بِمُدْنَفِ
أَكَبَّ عَلَى الْآفَاقِ إِكْبَابَ مُطْرِقٍ ‏ ‏ يُفَكِّـــرُ، أَوْ كَالنَّـــادِمِ الْمُتَلَهِّـــفِ
وَمَـدَّ جَنَاحَيْـهِ عَلَى الْأَرْضِ جَانِحًا ‏ ‏ فَـرَاحَ عَلَيْهَـا كَـالْغُرَابِ الْمُرَفْـرِفِ
غَدَا الْبَرُّ بَحْرًا زَاخِرًا وَانْثَنَى الضُّحَى ‏ ‏ بِظُلْمَتِـهِ فِـي ثَـوْبِ لَيْـلٍ مُسَـجَّفِ
تُحَاوِلُ مِنْهُ الشَّمْسُ فِي الْجَوِّ مَخْرَجًا ‏ ‏ كَمَا حَاوَلَ الْمَغْلُوبُ تَجْرِيدَ مُرْهَفِ

أجرومية [هنريك هيني]

مُنْذُ آلَافِ الْحِقَبِ، صَمَدَتِ الْكَوَاكِبُ فَوْقَنَا صَامِتَةً
تَنْظُرُ كُلُّ وَامِضَةٍ مِنْهَا إِلَى أُخْتِهَا، نَظْرَةَ شَوْقٍ وَأَسًى

* * *

مَا أَجْزَلَهَا وَمَا أَجْمَلَهَا، تِلْكَ اللُّغَةَ الَّتِي يَتَنَاجِينَ بِهَا
هَلْ مِنْ فَقِيهٍ مِنْ فُقَهَاءِ اللُّغَاتِ
فَطِنَ يَوْمًا إِلَى لَحْنِ تِلْكَ الْمُنَاجَاةِ؟

* * *

(١٢٥) من فضلاء البصرة في القرن الرَّابع، تولَّى القضاء وصاحب الوزير المهلبي ومدح سيف الدولة.

لَكِنَّنِي أَنَا قَدْ فَطِنْتُ لَهَا فِطْنَةً لا تُنْسَى

فِي لَمَحَاتِ حَبِيبِي السَّمَاوِيَّةِ قَرَأْتُ أُصُولَ تِلْكَ الْأَجْرُومِيَّةِ.

الأحمق [هنريك هيني]

مَنْ أَحَبَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَلَوْ غَيْرَ مَحْبُوبٍ ... ذَاكَ إِلَهٌ!
وَمَنْ عَاوَدَ الْحُبَّ غَيْرَ مَطْلُوبٍ ... فَذَلِكَ هُوَ الْأَحْمَقُ

* * *

إِنَّنِي أَنَا لَذَلِكَ الْأَحْمَقُ!
لِأَنَّنِي أُحِبُّ حُبِّيَ الثَّانِيَ، وَمَا أَنَا بِمَحْبُوبٍ
وَهَاؤُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَكَوَاكِبَ السَّمَاءِ تَضِجُّ بِالضَّحِكِ سَاخِرَةً
وَأَنَا أَضْحَكُ مَعَهَا، وَأَمُوتُ.

[ابن لنكك البصري](١٢٦)

لَا تَخْـدَعَنْكَ اللِّحَـى وَلَا الصُّـوَرْ   تِسْـعَةُ أَعْشَـارِ مَـنْ تَـرَى بَقَـرْ!
فِـي شَـجَرِ السَّـرْوِ مِـنْهُمْ مَثَـلٌ   لَـهُ رُوَاءٌ وَمَـا لَـهُ ثَمَـرْ

اللحن المقصور [الحسن بن إسحاق اليمني](١٢٧)

لَعَمْـرُكَ مَـا اللَّحْـنُ مِـنْ شِـيمَتِي   وَلَا أَنَـا مِـنْ خَطَـأٍ أَلْحَـنُ
وَلَكِنَّنِـي قَـدْ عَرَفْـتُ الْأَنَـا   مَ فَخَاطَبْـتُ كُـلًّا بَمَـا يُحْسِـنُ

يحسد الكلاب [أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حجاج](١٢٨)

قال وقد رأى كلاب عز الدولة بختيار تُطعم الجداء:

(١٢٦) شاعر مستخف الشعر كان يُعاصر المتنبي في القرن الرابع ويهجوه.
(١٢٧) نحوي أديب من وجوه اليمن عاش في القرن السادس وتُوفي في أخرياته.
(١٢٨) شاعر هازلٌ من شعراء بغداد في القرن الرابع، كان يتعمَّد السخف على سبيل الفُكاهةِ فلا يقع له الجيد الحسن إلا في النُّدرة.

رَأَيْــتُ كِــلَابَ مَوْلَانَــا وُقُوفًــا وَرَابِضَــةً عَلَــى ظَهْــرِ الطَّرِيــقِ
تُغَــذَّى بِالْجِــدَاءِ. فَلَيْــتَ أَنِّــي وَحَــقِّ اللهِ خُزْكُــوشٌ سَــلُوقِي
فَيَــا مَــوْلَايَ رَافِقْنِــي بِكَلْــبٍ لِآكُــلَ كُــلَّ يَــوْمٍ مَــعْ رَفِيقِــي
جَفَانِي اللَّحْمُ وَهُوَ شَقِيقُ جِسْمِي فَمَــنْ يُعْــدِي عَلَــى ذَاكَ الشَّــقِيقِ
كَـأَنَّ اللَّحْـمَ فِـي صَـوْمِ النَّصَـارَى تَــوَهَّمَنِي ابْــنَ عَــمِّ الْجَــاثِلِيقِ

عصا التسيار [الباخرزي](١٢٩)

حَمْـــــلُ الْعَصَـــــا لِلْمُبْتَلَــــى بِالشَّـــــيْبِ عُنْـــــوَانُ الْبِلَــــى
وُصِـــــفَ الْمُسَـــــافِرُ أَنَّـــــهُ أَلْقَــــى عَصَــــاهُ لِيَنْــــزِلَا
وَعَلَــى الْقِيَــاسِ سَــبِيلُ مَــنْ حَمَــــلَ الْعَصَــــا أَنْ يَــــرْحَلَا

زكاة غير شرعية [الباخرزي]

زَكَاةُ رُءُوسِ النَّاسِ فِي عِيدِ فِطْرِهِمْ ،يَقُـولُ رَسُـولُ اللهِ صَـاعٌ مِـنَ الْبُـرِّ
وَرَأْسُــكِ أَغْلَــى قِيمَــةً فَتَصَــدَّقِي بِفِيكِ عَلَيْنَا، فَهُوَ صَاعٌ مِنَ الدُّرِّ

يحمد الله [الأصفهاني]

بِــتُّ وَبَــاتَ الْحَبِيــبُ نَــدْمَانِي مِـنْ بَعْـدِ نَـأْيٍ وَطُـولِ هِجْـرَانِ
وَكُلَّمَــا دَارَتِ الْكُئُــوسُ لَنَــا أَلْثَمَنِــي فَــاهُ ثُــمَّ غَنَّــانِي
الْحَمْــدُ لِلــهِ لَا شَــرِيكَ لَــهُ، أَطَــاعَنِي الــدَّهْرُ بَعْــدَ عِصْــيَانِ

غنى [علي بن الحسن القهستاني]

غَنِينَا، بِلَا دُنْيَا، عَنِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا عَنِ الشَّيْءِ، لَا بِهِ

---

(١٢٩) أديبٌ فقيهٌ من نواحي نيسابور، قُتل في مجلس أنس ببلده باخرز سنة ٤٦٧.

الحلم كاليقظة [علي بن الحسين المُرتضى]

يَـا لَيْـتَ زَائِرَنَـا بِفَاحِمَـةِ الـدُّجَى ... لَـمْ يَـأْتِ إِلَّا وَالصَّـبَاحُ رَسُـولُ
مَـا عَابَـهُ – وَبِـهِ السُّـرُورُ – زَوَالُـهُ ... فَجَمِيـعُ مَـا سَـرَّ الْعُقُـولَ يَـزُولُ

طيف [علي بن الحسين المُرتضى][١٣٠]

وَزَارَتْ وِسَادِي فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ[١٣١] ... أَرَاهَـا الْكَـرَى عَيْنِـي وَلَسْـتُ أَرَاهَـا
تُمَـانِعُ صُـبْحًا أَنْ أَرَاهَـا بِنَـاظِرِي ... وَتُبْـذَلُ جُنْحًـا أَنْ أُقَبِّـلَ فَاهَـا
وَلَمَّا سَرَتْ لَمْ تَخْشَ وَهْنًا[١٣٢] ضَلَالَةً ... وَلَا عَـرَفَ الْعُـذَّالُ كَيْـفَ سُـرَاهَا
فَمَاذَا الَّذِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ أَتَى بِهَا ... وَمَـنْ ذَا عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ هَـدَاهَا؟
وَقَـالُوا: عَسَـاهَا بَعْـدَ زَوْرَةِ بَاطِـلٍ ... تَـزُورُ بِـلَا رَيْـبٍ؛ فَقُلْـتُ: عَسَـاهَا!

القلب أو العقل [هولدرين][١٣٣]

إِنْ كَـانَ قَلْـبٌ وَعَقْـلٌ ... لَـدَيْكَ مُجْتَمِعَـيْنِ
الْعَـبْ بِقَـدَحٍ وَإِلَّا ... خَسِـرْتَ بِالْقَـدَحَيْنِ

قولان [ابن العميد][١٣٤]

يَقُولُ لِيَ الْوَاشُونَ: كَيْفَ تُحِبُّهَا؟ ... فَقُلْتُ لَهُمْ: بَيْنَ الْمُقَصِّرِ وَالْغَالِي

---

(١٣٠) نقيب العلويين، كان شاعرًا حافظًا لغويًّا فقيهًا من أفذاذ عصره (٣٥٥–٤٣٦).
(١٣١) حسناء حييَّة.
(١٣٢) الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعةٍ منه.
(١٣٣) **Holderlin** شاعرٌ ألمانيٌّ اشتغل بالتعليم الخاص وجُنَّ في أواخر حياته على أثر صَدمَةٍ نفسيَّةٍ من هوى غير مجد (١٧٧٠–١٨٤٣).
(١٣٤) منشئ بليغ مُطَّلِعٌ على الفلسفة والفلك من وُزراءِ بني بويه تُوفي سنة ٣٦٦هـ.

وَلَـوْلَا حَـذَارِي مِـنْهُمُ لَصَـدَّقْتُهُمْ   وَقُلْتُ: هَوًى لَمْ يَهْوَهُ قَطُّ مِثَالِي

طبيبٌ بارعٌ [السري الرفاء][١٣٥]

أَوْضَـحَ نَهْـجَ الطِّـبِّ فِـي مَعْشَـرٍ   مَـــا زَالَ فِـــيهِمْ دَارِسَ الرَّسْـــمِ

كَأَنَّـــهُ مِـــنْ لُطْـــفِ تَـــدْبِيرِهِ   يَجُـــولُ بَـــيْنَ الـــدَّمِ وَاللَّحْـــمِ

إِنْ غَضِـــبَتْ رُوحٌ عَلَـــى جِسْـــمِهَا   أَصْـــلَحَ بَـــيْنَ الـــرُّوحِ وَالْجِسْـــمِ

مفردات أبي فراس [أبو فراس الحمداني][١٣٦]

مَـــنْ كَـــانَ مِثْلِـــي لَـــمْ يَبِـــتْ   إِلَّا أَسِـــــــــيرًا أَوْ أَمِيـــــــــرَا

* * *

إِذَا أَوْجَعَتْنِـي مِـنْ أَعَـادِيَّ شِـيمَةٌ   لَقِيتُ مِنَ الْأَحْبَابِ أَدْهَى وَأَوْجَعَا

* * *

مَـا الْعُمْـرُ مَـا طَالَـتْ بِـهِ الـدُّهُورُ   الْعُمْـــرُ مَـــا تَـــمَّ بِـــهِ السُّـــرُورُ

* * *

أَبْـــذِلُ الْحَـــقَّ لِلْخُصُـــومِ إِذَا مَـــا   عَجَـــزَتْ عَنْـــهُ قُـــدْرَةُ الْحُكَّـــامِ

* * *

إِذَا مَـــــا بَـــــرَدَ الْقَلْـــــبُ   فَمَـــــا تُسْـــــخِنُهُ النَّـــــارُ

* * *

(١٣٥) السري بن أحمد من أشهر أدباء القرن الرابع، وُلد بالموصل وتُوفي ببغداد سنة **٣٦٦**.

(١٣٦) الحارث بن أبي العلاء الحمداني، ابن عمِّ سيف الدولة صاحب حلب، أُسِرَ مرَّتين في حرب الرُّوم وقضى بالقسطنطينية أسيرًا أربع سنوات، تُوفي سنة **٣٥٧**.

لَعَمْـرُكَ مَـا الْأَبْصَـارُ تَنْفَـعُ أَهْلَهَـا   إِذَا لَـمْ تَكُـنْ لِلْمُبْصِـرِينَ بَصَـائِرُ

* * *

يَعُـدُّ عَلَـيَّ الْوَاشِـيَانِ ذُنُوبَـهُ   وَمِـنْ أَيْـنَ لِلْوَجْـهِ الْجَمِيـلِ ذُنُـوبُ

* * *

كَـمْ صَاحِبٍ لَـمْ أُغْنَ عَـنْ إِنْصَافِهِ   فِـي عَشْـرَةٍ وَغَنِيـتُ عَـنْ إِحْسَـانِهِ

* * *

وَأَعْظَـمُ أَعْـدَاءِ الرِّجَـالِ ثِقَاتُهَـا   وَأَهْـوَنُ مَـنْ عَادَيْتَـهُ مَـنْ تُحَـارِبُ

* * *

لَقَدْ قَلَّ مَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مُجْمِلًا   وَأَخْشَـى قَرِيبًـا أَنْ يَقِـلَّ الْمُجَامِـلُ

هجر لوصل [سيف الدَّولة الحمداني](١٣٧)

رَاقَبَتْنِـي الْعُيُـونُ فِيـكَ فَأَشْفَقْـ   ـتُ وَلَـمْ أَخْـلُ قَـطُّ مِـنْ إِشْـفَاقِ
فَتَمَنَّيْـتُ أَنْ أَرَاكَ بَعِيـدًا   وَالَّـذِي بَيْنَنَـا مِـنَ الْـوُدِّ بَـاقِ
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ هَجْرٍ   وَفِـرَاقٍ يَكُـونُ خَـوْفَ فِـرَاقِ

تكلم! [ابن القوطيَّة](١٣٨)

خَـلِّ النِّفَـاقَ لِأَهْلِـهِ   وَعَلَيْـكَ فَـالْتَمِسِ الطَّرِيقَـا

---

(١٣٧) علي بن عبد الله بن حمدان، ملك دمشق وحلبًا وحارب الروم وأحب الأدب وأهله وفتح أبوابه للشعراء والفضلاء، فلاذ به كبارهم في زمانه، وأولهم أبو الطيب المتنبي، وله شعرٌ قليلٌ (٣٠٣-٣٥٦).

(١٣٨) محمَّد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسي، من أشبيلية ومن أعلم أهل الغرب باللغة، وله كُتُبٌ في النحو والصرف يُعتمَدُ عليها، تُوفِّي سنة ٣٦٧.

أَقُـولُ لَـهُ وَقَـدْ أَبْـدَى صُـدُودًا فَــلَا لَفْــظٌ إِلَــيَّ وَلَا ابْتِسَــامُ
تَكَلَّــمْ، لَــيْسَ يُوجِعُــكَ الْكَــلَامُ وَلَا يَمْحُــو مَحَاسِــنَكَ السَّــلَامُ!

حال السجناء [عبد الله بن معاوية بن جعفر]

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنَ اهْلِهَا فَلَا نَحْنُ بِالْمَوْتَى وَلَا نَحْنُ بِالْأَحْيَا
إِذَا جَاءَنَـا السَّـجَّانُ يَوْمًـا لِحَاجَـةٍ عَجِبْنَـا وَقُلْنَـا جَـاءَ هَـذَا مِـنَ الدُّنْيَا
وَنَفْــرَحُ بِالرُّؤْيَــا فَجُــلُّ حَــدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ كَانَتْ بَطِيئًا مَجِيئُهَا وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَنْتَظِرْ، وَأَتَتْ سَعْيَا

بيت واسع [أبو الشمقمق](١٣٩)

بَــرَزْتُ مِــنَ الْمَنَــازِلِ وَالْقِبَــابِ فَلَـمْ يَعْسُـرْ عَلَـى أَحَـدٍ حِجَـابِي
فَمَنْزِلِـيَ الْفَضَــاءُ، وَسَــقْفُ بَيْتِـي سَــمَاءُ اللهِ أَوْ قِطَــعُ السَّــحَابِ
فَانْــتَ إِذَا أَرَدْتَ دَخَلْــتَ بَيْتِــي عَلَــيَّ مُسَــلِّمًا مِــنْ غَيْــرِ بَــابِ
لِأَنِّــي لَــمْ أَجِــدْ مِصْــرَاعَ بَــابٍ يَكُونُ مِنَ السَّحَابِ إِلَى التُّـرَابِ

مثاني البستي [البستي](١٤٠)

ضمان الدين والدنيا

مَـنْ شَـاءَ عَيْشًـا رَضِـيًّا يَسْـتَفِيدُ بِـهِ فِـي دِينِـهِ، ثُـمَّ فِـي دُنْيَـاهُ، إِقْبَـالًا

---

(١٣٩) هو أبو محمد مروان مولى مروان بن محمد شاعرٌ نَشَأَ في أواخر الدولة الأموية.

(١٤٠) أبو الفتح علي بن مُحمَّد البستي شاعر ينظم في الحكمة، ويميلُ إلى الجناس وهو صاحب النونية المشهورة التي منها:

أقبـل علـى الـنَّفس واسـتكمل فضـائلها فأنــت بــالنفس لا بالجســم إنســان

تُوفي سنة ٤٠٠هـ.

فَلْيَنْظُـرَنَّ إِلَـى مَـنْ فَوْقَـهُ أَدَبًـا ... وَلْيَنْظُـرَنَّ إِلَـى مَـنْ دُونَـهُ مَـالَا

الأخ الصالح

إِذَا مَـا اصْـطَفَيْتَ امْـرَءًا فَلْـيَكُنْ ... شَـرِيفَ النِّجَـارِ زَكِـيَّ الْحَسَـبْ

فَنَــذْلُ الرِّجَــالِ كَنَــذْلِ النَّبَــا ... تِ، لَا لِلثِّمَــارِ وَلَا لِلْحَطَــبْ

العدو وإن صغر

لَا يَسْــتَخِفَّنَّ الْفَتَــى بِعَــدُوِّهِ ... أَبَــدًا وَإِنْ كَـانَ الْعَـدُوُّ ضَـئِيلَا

إِنَّ الْقَـذَى يُـؤْذِي الْعُيُـونَ قَلِيلُـهُ ... وَلَرُبَّمَـا جَـرَحَ الْبَعُـوضُ الْفِـيلَا

وصل المشيب

يَـا شَـيْبَتِي دُومِـي وَلَا تَتَرَحَّلِـي ... وَتَيَقَّنِـي أَنِّـي بِوَصْـلِكِ مُولَـعُ

قَدْ كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ حُلُولِكِ مَرَّةً ... فَـالْآنَ مِـنْ حَـذَرِ ارْتِحَالِـكِ أَجْـزَعُ

العمر الصالح

دَعُـونِي وَأَمْـرِي وَاخْتِيَـارِي فَـإِنَّنِي ... عَلِيمٌ بِمَا أُخْفِي وَأُظْهِرُ مِنْ أَمْرِي

إِذَا مَـرَّ بِـي يَـوْمٌ وَلَـمْ أَصْـطَنِعْ يَـدًا ... وَلَمْ أَسْتَفِدْ عِلْمًا، فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي

قسمة العمر [أبو بكر الكاتب](١٤١)

وَخَيْـرُ عُمْـرِ الْفَتَـى عُمْـرٌ يَعِـيشُ بِـهِ ... مُقَسَّمَ الْحَالِ، بَـيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

فَحَـظٌّ ذَلِـكَ مِـنْ عِلْـمٍ وَمِـنْ أَدَبٍ ... وَحَـظٌّ هَـذَا مِـنَ اللَّـذَّاتِ وَالطَّـرَبِ

---

(١٤١) أبو أحمد بن أبي بكر الكاتب، من شُعراءِ بُخارى وسرواتها في القرن الرابع، أنفق ماله في اللذات، وماتَ مُنتحرًا.

حسناءُ يستدعيها الموت [توماس لوفيل بدوس][١٤٢]

هُوَ شَبَحٌ هَامَ بِحَسْنَاءَ فَاتِنَةٍ

يَفْتَأُ كُلَّمَا سَرَى هَوَاءُ النُّجُومِ مِنْ أَحْشَاءِ اللَّيْلِ

قَائِمًا عَلَى وِسَادَتِهَا، يُنَاغِي رُوحَهَا

بِرَخَامَةِ الْأُفُقِ الْأَعْلَى، وَعُذُوبَةِ الْحُبِّ الْإِنْسَانِيِّ

وَيَا لَهَا مِنْ عُذُوبَةٍ – أَيِّ عُذُوبَةٍ – فِي تِلْكَ الْأَنْغَامِ الْمَسْمُومَةِ!

هِيَ الْحَيَّاتُ الصِّغَارُ الَّتِي تُعَشِّشُ فِي الْجَمَاجِمِ الْمَنْخُوبَةِ

تَهْمِسُ مِنْ حُلُوقِهَا الْفِضِّيَّةِ فِي غُوَايَةٍ شَجِيَّةٍ:

تَعَالَيْ. تَعَالَيْ ... مُوتِي. آهٍ. مُوتِي!

* * *

أَيَّتُهَا الرُّوحُ الْفَتِيَّةُ! اخْلَعِي عَنْكِ ثِيَابَ اللَّحْمِ وَتَعَالَيْ إِلَيَّ فِي قَبْرِيَ الْمُطْمَئِنِّ الْقَرِيرِ

إِنَّ مِهَادَنَا ثَمَّ لَمَكْنُونٌ مُرِيحٌ، وَكُرَةُ الْأَرْضِ تَتَرَجَّحُ بِنَا

كُلَّمَا انْطَلَقَتْ حَائِمَةً تَحْتَ غِطَاءِ الثُّلُوجِ، وَمِنْ فَوْقِنَا الصَّفِيحُ الدَّفِيُّ

... خَلَّابَةٌ – جِدُّ خَلَّابَةٍ – تِلْكَ الْأَنْغَامُ الْمَسْمُومَةُ

هِيَ الْحَيَّاتُ الصِّغَارُ فِضِّيَّاتُ الْحُلُوقِ

تَأْوِي إِلَى الْجَمَاجِمِ الْمَنْخُوبَةِ، وَتُنْشِدُ وَتُعِيدُ:

---

(١٤٢) Thomas Lovell Beddoes (١٨٠٣–١٨٤٩) شاعرٌ إنجليزيٌّ تشيعُ في قصائده غزليات الأشباح والأرواح الهائمة، وله كتابٌ سمَّاهُ «سجل نكات الموت» كأنما كانت فكرة الموت تُداعبه طول حياته، وقد مات مُنتحرًا.

تَعَالِي. تَعَالِي ... مُوتِي. آهٍ مُوتِي!

الماضي حلم [إنجليزيٌّ مجهولٌ من أواخر القرن التاسع عشر؟]

الْأَحْلَامُ لَا تَصْدُقُكَ الرُّؤْيَةَ
وَالْمُتْعَةُ الَّتِي مَضَتْ حُلْمٌ مِنَ الْأَحْلَامِ
وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «كَانَ عِنْدِي» عَزَاءٌ قَلِيلٌ
... إِنَّ الَّذِي كَانَ قَدْ نَعِمَ، كَالَّذِي لَمْ يَنْعَمْ قَطُّ
كِلَاهُمَا مِنَ السُّوءِ سَوَاءٌ
إِنَّ دِفْءَ النَّارِ هُنَيْهَةً فِي صَبَّارَةِ الشِّتَاءِ، يُتْعِبُ وَلَا يُرِيحُ
وَكَذَلِكَ الْمُتْعَةُ الْقَصِيرَةُ، هِيَ الْعَذَابُ الْوَاصِبُ
حَتَّى تَعُودَ.

الشريد [يسنين](١٤٣)

سَئِمْتُ مَوْطِنِي
وَفِي الْقَلْبِ حَنِينٌ إِلَى السُّهُوبِ الْفِيحِ
اهْجُرِ الْكُوخَ الصَّغِيرَ، وَاخْبِطْ فِي الْعَرَاءِ
لِصٌّ وَشَرِيدٌ

* * *

(١٤٣) Seryei Yesienin من شُعراءِ رُوسيا الشيوعية، كان نُقَّادُ الشيوعيين يُؤمرون بمحاربة نفوذه الأدبي؛ لأنه يحنُّ إلى الرِّيفِ ويكره ضجَّة الصناعة، وقد مات مُنتحرًا.

أَهِيمُ النَّهَارَ فِي أَعْطَافِ الطَّرِيقِ
وَتَحْمِلُنِي قَدَمَايَ إِلَى رُكْنٍ وَضِيعٍ
وَصَدِيقٌ حَبِيبٌ إِلَيَّ، يَسُنُّ لِيَ الْمُدْيَةَ
وَرَاءَ الْحِذَاءِ

* * *

عَلَى حِفَافَي الطَّرِيقِ الصَّفْرَاءِ
مُرُوجٌ تَضْحَكُ الشَّمْسُ فِيهَا، وَتِلْكَ الَّتِي أَتَرَنَّمُ بِاسْمِهَا
سَتَزْجُرُنِي طَرِيدًا عَلَى بَابِهَا

* * *

وَأَعُودُ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَعْدَ حِينٍ، فَلَا يَحْزُنُنِي مِنْهُ السُّرُورُ
ثُمَّ يَغِيبُ النُّورُ ذَاتَ مَسَاءٍ
فَأَحْمِلُ وِزْرِي وَأَمْضِي لِطَيَّتِي

* * *

وَالصِّفْصَافُ الْأَشْهَبُ عِنْدَ الْحَائِطِ الْمَضْفُورِ
يَطْرُقُ، وَفِي إِطْرَاقِهِ مَزِيدٌ مِنَ الْحَنَانِ
وَإِلَى الْقَبْرِ يَحْمِلُونَنِي غَيْرَ مَغْسُولٍ
وَلَا مَنْ يُشَيِّعُنِي إِلَى مَثْوَايَ غَيْرَ عَاوِيَاتِ الْكِلَابِ

* * *

وَلَنْ يَزَالَ الْقَمَرُ يَحُومُ وَيَحُومُ، وَيَغُوصُ بِمَجَاذِيفِهِ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْمَاءِ

وَلَنْ تَزَالَ رُوسْيَا عَلَى عَهْدِهَا بَيْنَ رَقْصٍ وَبُكَاءٍ

عَلَى الْأَعْوَادِ الْمَجَادِيلِ.

تغيرا معًا [أبو بكر بن عبادة وتروى لابن القطان](١٤٤)

مَـــا مَـــرَّ يَـــوْمٌ عَلَـــيَّ لَـــمْ أَرَكِ ... إِلَّا وَجَـــدْتُ الضَّـــمِيرَ صَـــوَّرَكِ

وَمَـا مَبِيتِـي وَأَنْـتِ لَسْـتِ مَعِـي ... إِلَّا مَبِيـتُ الْقَطَـاةِ فِـي الشَّـرَكِ

أَمَّـــا أَنَـــا فَالْبُعَـــادُ غَيَّرَنِـــي ... وَأَنْـتِ، خَـوْفُ الرَّقِيـبِ غَيَّـرَكِ

كوكبان لا يتلاقيان [أبو حفص بن برد](١٤٥)

صَـــحَّ الْهَـــوَى مِنَّـــا وَلَكِنَّنِـــي ... أَعْجَـبُ مِـنْ بُعْـدٍ لَنَـا يُقَـدَّرُ

كَأَنَّنَـــا فِـــي فُلُـــكٍ دَائِـــرٍ ... فَأَنْـــتَ تَخْفَـــى وَأَنَـــا أَظْهَـــرُ

منظر أندلسي [أبو حفص بن برد]

سَـقَى جَـوْفَ الرَّصَـافَةِ مُسْـتَهِلٌّ ... تُؤَلِّـفُ شَـمْلَهُ أَيْـدِي الرِّيَـاحِ

مَحِـلٌّ مَـا مَشَـيْتُ إِلَيْـهِ إِلَّا ... مَشَـى فِـيَّ ابْتِهَـاجِي وَارْتِيَـاحِي

كَـأَنَّ تَـرَنُّمَ الْأَطْيَـارِ فِيـهِ ... أَغَـانٍ فَـوْقَ أَوْتَـارٍ فِصَـاحِ

كَـأَنَّ تَثَنِّـيَ الْأَشْـجَارِ فِيـهِ ... عَـذَارَى قَـدْ شَـرِبْنَ سُـلَافَ رَاحِ

كَـأَنَّ رِيَاضَـهُ أَبْـرَادُ وَشْـيٍ ... تَعَطَّـفُ فَـوْقَ أَعْطَـافٍ مِـلَاحِ

---

(١٤٤) من شعراء الدَّولة العامرية بقرطبة، وله مُوشَّحات وغزليَّات حسان.

(١٤٥) كاتب شاعر، تُوفِّي بسرقسطة سنة ٤١٨.

المعدة قلب القلب [أبو عبد الله محمد بن مسعود]

جَنِّبُونَـــا سَـــجِيَّةَ الْعُشَّـــاقِ وَدَعُونَــا مِــنَ الْهَــوَى وَالتَّلَاقِــي
وَأَقِلُّــوا مِــنَ الْبُكَــاءِ عَلَــى الرَّسْـ ـــمِ، وَلَا تَأْسَــفُوا غَــدَاةَ الْفِــرَاقِ
مَا بِوَصْلِ الْحَبِيبِ يَفْرَحُ ذُو الْعَقْـ ـــلِ، وَلَا بِالْخُـــدُودِ وَالْأَحْـــدَاقِ
إِنَّمَــا الْمُلْــكُ ثُــرْدَةٌ مِــنْ بَقَايَــا مِــنْ دَجَــاجٍ مُسَــمَّنَاتٍ عِتَــاقِ
وَإِذَا قِيــلَ لِـي بِمَــنْ أَنْـتَ صَـبٌّ وَعَــلَامَ انْسِــكَابُ دَمْــعِ الْمَــآقِي
قُلْـــتُ: بِالسِّـــكْبَاجِ وَالْجُمِّلِيَّـــا تِ وَرِخَـصِ الشِّـوَاءِ بَـيْنَ الرِّقَـاقِ
وَجَشِـيشُ السَّـمِيذِ أَعْـذَبُ عِنـدِي مِنْ رُضَابِ الْحَبِيبِ عِنْدَ الْعِنَاقِ[١٤٦]

مكتب الطبيعة [عمر بن الشهيد]

يَـــا رُبَّ مَـــاءٍ عَـــازِبٍ مَجَّـــهُ مُـزْنٌ، هَـزِيمُ الْـوَدْقِ، فِـي سَبْسَـبِ
إِنْ كَـانَ فِيمَـا قَـدْ مَضَـى مَـوْرِدًا فَلِلْعِطَـــاشِ: الْأُسْـــدِ وَالْأَذْؤُبِ
وَلَغَــــطُ الطَّيْــــرِ بِأَرْجَائِــــهِ كَلَغَــطِ الصِّــبْيَةِ فِــي الْمَكْتَــبِ

لو [عبيد الله بن عبد الله بن عتبة][١٤٧]

فَلَوْ أَكَلَتْ مِنْ نَبْتِ دَمْعِي بَهِيمَةٌ لَهَــيَّجَ مِنْهَــا رَحْمَــةً حِــينَ تَأْكُلُــهْ
وَلَوْ كُنْتُ فِي غُلٍّ فَبُحْتُ بِلَوْعَتِي إِلَيْــهِ لَلَانَــتْ لِــي وَرَقَّــتْ سَلَاسِــلُهْ
وَلَمَّا عَصَانِي الْقَلْبُ أَظْهَرْتُ عَوْلَةً وَقُلْــتُ: أَلَا قَلْــبٌ بِقَلْبِــي أُبَادِلُــهْ؟

---

(١٤٦) السميذ الدقيق الأبيض والسكباج مرق من اللحم والخلّ والتوابل. مُتَّصِلًا بالمعتصم بن صمادح صاحب المرية.
(١٤٧) من كبار فقهاء المدينة ومن أعلام التابعين.

حبالة الصيد [يحيى بن نوفل اليماني][١٤٨]

أَبِــلَالُ إِنِّــي رَابَنِــي مِــنْ شَــأْنِكُمْ قَـــوْلٌ تُزَيِّنُـــهُ وَفِعْـــلٌ مُنْكَـــرُ
مَـــا لِـــي أَرَاكَ إِذَا أَرَدْتَ خِيَانَـــةً جَعَلَ السُّجُودُ بِحُرٍّ وَجْهِكَ يَظْهَرُ
مُتَخَشِّــعًا طَبِنًـــا لِكُـــلِّ عَظِيمَـــةٍ تَتْلُـو الْكِتَـابَ وَأَنْـتَ ذِئْـبٌ أَغْبَـرُ!

شكوى من النحاة [رواه الأخفش الأوسط عن بعض العرب]

مَـاذَا لَقِيـتُ مِـنَ الْمُسْـتَعْرِبِينَ وَمِـنْ تَأْسِيسِ نَحْوِهِمُ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْـتُ قَافِيَـةً فِيمَـا يَكُـونُ لَـهُ مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
قَالُوا: لَحَنْتَ، وَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ وَذَاكَ نَصْــبٌ، وَهَــذَا لَـيْسَ يَرْتَفِــعُ
وَحَرَّشُــوا بَــيْنَ عَبْـدِ اللهِ صَـاحِبِهِمْ وَبَـيْنَ زَيْـدٍ فَطَـالَ الضَّـرْبُ وَالْوَجَـعُ
إِنِّـي نَشَـأْتُ بِـأَرْضٍ لَا تَشُــبُّ بِهَـا نَـارُ الْمَجُوسِ، وَلَا تُبْنَـى بِهَـا الْبِيَـعُ
مَا كُلُّ قَوْلٍ بِمَعْرُوفٍ لَكُمْ فَخُذُوا مَـا تَعْرِفُـونَ، وَمَـا لَـمْ تَعْرِفُـوا فَـدَعُوا
كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ، وَآخَــرِينَ عَلَــى إِعْــرَابِهِمْ طُبِعُــوا

رأي في الآراء [سلم الخاسر][١٤٩]

شَـــــمَّرَ لِلْحَـــــزْمِ سَـــــرَابِيلَهُ بِـــــرَأْيِ لَا غَمْـــــــرٍ وَلَا وَانِ
لَــمْ يُــدْخِلِ الشُّــورَى عَلَــى رَأْيِــهِ وَالْحَـــزْمُ لَا يُمْضِـــيهِ رَأْيَـــانِ

(١٤٨) نشأ في صدر الدولة الأموية وكان كثير الهجاء، كان ينتمي إلى ثقيفٍ ثُمَّ ادَّعَى أنَّه من حمير لمَّا تخطَّاهُ الحجَّاجُ وولى بعض من يكره ولاية العراق.

(١٤٩) نشأ في أواسط القرن الثَّاني، وكان خليعًا لا يُبالي شيئًا، سُمِّي بالخاسر؛ لأنه باع مُصحفًا واشترى طنبورًا.

خروف مهدى [ابن عُنين][150]

أَتَـانِي خَـرُوفٌ مَـا شَـكَكْتُ بِأَنَّـهُ حَلِيفُ هَوًى قَدْ شَفَّهُ الْهَجْرُ وَالْعَذْلُ
إِذَا قَـامَ فِـي شَـمْسِ الظَّهِيـرَةِ خِلْتَـهُ خَيَالًا سَرَى فِي ظُلْمَةٍ، مَا لَهُ ظِلُّ
فَنَاشَـدْتُهُ: مَـا تَشْـتَهِي؟ قَـالَ قَتَّـةٌ؛ وَسَاءَلْتُهُ: مَا شَفَّهُ؟ قَالَ لِي: الْأَكْلُ
فَأَحْضَـرْتُهَا خَضْـرَاءَ مَجَّاجَـةَ الثَّـرَى مُسَـلَّمَةً مَـا حَـصَّ أَوْرَاقَهَـا الْفَتْـلُ
فَظَـلَّ يُرَاعِيهَـا بِعَـيْنٍ ضَـعِيفةٍ وَيُنْشِدُهَا وَالدَّمْعُ فِي الْعَيْنِ مُنْهَلُّ:
«أَتَتْ وَحِيَاضُ الْمَوْتِ بَيْنِي وَبَيْنَها، وَجَادَتْ بِوَصْلٍ حِينَ لَا يَنْفَعُ الْوَصْلُ»

داء قديم! [أبو الأسود الدُّؤَلي][151]

ذَهَـبَ الرِّجَـالُ الْمُقْتَـدَى بِفِعَـالِهِمْ وَالْمُنْكِـرُونَ لِكُـلِّ أَمْـرٍ مُنْكَـرِ
وَبَقِيـتُ فِـي خَلْـفٍ يُزَكِّـي بَعْضُـهُمْ بَعْضًـا لِيَـدْفَعَ مُعْـوَرٌ عَـنْ مُعْـوَرِ
فَطِـنٌ لِكُـلِّ مُصِـيبَةٍ فِـي مَالِـهِ وَإِذَا أُصِـيبَ بِعِرْضِـهِ لَـمْ يَشْـعُرِ

الدهر لا يصبر [محمود الورَّاق][152]

الـدَّهْرُ لَا يَبْقَـى عَلَـى حَالَـةٍ؛ لَا بُـدَّ أَنْ يُقْبِـلَ أَوْ يُـدْبِرَا
فَـإِنْ تَلَقَّـاكَ بِمَكْرُوهِـهِ فَاصْـبِرْ، فَـإِنَّ الـدَّهْرَ لَـنْ يَصْـبِرَا

الغالي الرخيص [محمود الورَّاق]

وَإِذَا غَـلَا شَـيْءٌ عَلَـيَّ تَرَكْتُـهُ فَيَعُـودُ أَرْخَـصَ مَـا يَكُـونُ إِذَا غَـلَا

---

(150) القتُّ حبٌّ بريٌّ من نباتِ البادية، وابن عنين: أو شرف الدين محمد بن نصر، شاعرٌ ظريفٌ نشأ بمصر على عهد صلاح الدين الأيوبي.
(151) ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جندل، واضع علم النَّحو، تُوفي سنة ٦٥هـ.
(152) محمود بن الحسن الوراق البغدادي مولى بني زهرة، أكثر نظمه في الحكم والمواعظ تُوفِّي في حدود ٢٣٠هـ.

خيالُ الضَّرير

من أوصاف بشَّار [بشار بن برد][١٥٣]

طَالَ هَـذَا اللَّيْـلُ، بَـلْ طَـالَ السَّـهَرْ وَلَقَـــدْ أَعْــرِفُ لَيْلِــي بِالْقِصَـــرْ
وَكَـــأَنَّ الْهَـــمَّ شَـــخْصٌ مَاثِـــلٌ كُلَّمَــــا أَبْصَـــرَهُ النَّـــوْمُ نَفَــــرْ

* * *

وَحَـــدِيثٍ كَأَنَّـــهُ قِطَـــعُ الـــرَّوْ ضِ، وَفِيـــهِ الصَّـــفْرَاءُ وَالْحَمْـــرَاءُ

* * *

وَتَخَـــالُ مَـــا جَمَعَـــتْ عَلَيـــْ ـــــهِ ثِيَابَهَـــا ذَهَبًـــا وَعِطْـــرَا

* * *

كَأَنَّمَــا خُلِقَــتْ مِــنْ مَــاءِ لُؤْلُــؤَةٍ فَكُــلُّ أَعْضَــائِهَا وَجْــهٌ بِمِرْصَــادِ

* * *

قَـدْ أَلْـبَسُ الْعَـيْشَ ذَا الرِّقَـاعِ وَلَا أَلْـــبَسُ ثَـــوْبَ الْإِخَـــاءِ مُنْخَرِقَـــا

* * *

فَيَـا عَجَبًـا زَيَّنْـتُ نَفْسِـي بِحُبِّهَـا، وَزَانَـتْ بِهَجْـرِي نَفْسَـهَا وَتَحَلَّـتِ

* * *

إِذَا سَـفَرَتْ طَـابَ النَّعِـيمُ بِوَجْهِهَـا وَشُـــبِّهَ لِـــي أَنَّ الْمَضِـــيقَ فَضَـــاءُ

* * *

(١٥٣) من أشهر شعراء القرن الثاني وأجزلهم لفظًا وأصحهم عبارة، وهذه الأبيات المُتفرقة مُختارة من شعره القليل المحفوظ لدينا، للدلالة على الملكة التي يعوض بها الشاعر الضرير صاحب الحس اليقظان ما فاته بفقد النظر، من طريق الأذن والأنف والخيال.

طَـالَ الثَّـوَاءُ عَلَـى تَنَظُّـرِ حَاجَـةٍ   شَمِطَتْ لَدَيْكَ فَمَنْ لَهَا بِخِضَابِ؟

* * *

وَلَهَـا مَبْسِــمٌ كَغُـرِّ الْأَقَــاحِي   وَحَـدِيثٌ كَالْوَشْـيِ، وَشْـيِ الْبُـرُودِ

* * *

إِذَا نَطَقَتْ صِحْنَا وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى   صِـيَاحَ جُنُـودٍ وُجِّهَـتْ لِجُنُـودِ

* * *

... أَنَّى وَلَمْ تَرَهَا تَهْذِي؟ فَقُلْتُ لَهُمْ:   إِنَّ الْفُـؤَادَ يَـرَى مَـا لَا يَـرَى الْبَصَـرُ

* * *

فَقُلْتُ: دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى   فَبِالْقَلْبِ، لَا بِالْعَيْنِ، يُبْصِرُ ذُو اللُّبِّ

وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى   وَلَا تَسْـمَعُ الْأُذْنَـانِ إِلَّا مِـنَ الْقَلْـبِ

* * *

وَخُـــذِي مَلَابِـــسَ زِينَـــةٍ   وَمُصَـــبَّغَاتٍ فَهْـــيَ أَفْخَـــرْ

وَإِذَا دَخَلْـــــتِ تَقَنَّعِـــــي   بِـــالْحُمْرِ، إِنَّ الْحُسْـــنَ أَحْمَـــرْ

* * *

وَتَـــوَقَّ الطِّيـــبَ لَيْلَتَنَـــا   إِنَّـــــهُ وَاشٍ إِذَا سَـــــطَعَا

* * *

بَـــاكَرْنَ عِطْـــرَ لَطِيمَـــةٍ   وَغُمِسْـنَ فِـي الْجَـادِيِّ غَمْسَـا

* * *

إِذَا وَضَعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلَهَا   تَضَـوَّعَ مِسْـكًا مَـا أَصَـابَ وَعَنْبَـرَا

* * *

لَقَـدْ عَشِـقَتْ أُذْنِـي كَلَامًـا سَـمِعْتُهُ رَخِيمًـا، وَقَلْبِـي لِلْمَلِيحَـةِ أَعْشَـقُ

تابوت [هنريك هيني]

أَحْلَامُ الْعَلْقَمِ، وَأَغَانِي الْبَلْوَى، حَانَتْ سَاعَةُ الدَّفْنِ! فَإِلَيَّ إِلَيَّ – بِالتَّابُوتِ الْوَاسِعِ الطَّوِيلِ

سَأَطْوِي فِيهِ وَدَائِعَ شَتَّى. مَا أَنَا بِقَائِلٍ مَا هِيَ وَلَا بِمُطْلِعٍ أَحَدًا عَلَى صِفَاتِهَا ... إِنَّمَا الْبُغْيَةُ تَابُوتٌ كَبِيرٌ ... أَعْظَمُ مِنْ صِهْرِيجِ «هِدِلْبِرْج»(١٥٤) الْعَظِيمِ وَأَنْشُدُكُمْ لَهُ مَرْكَبَةً عَلَى غِرَارِهِ! كُلُّ عَمُودٍ مِنْ عِمْدَانِهَا الْمَكِنِيَّةِ، يُطَاوِلُ الْقَنْطَرَةَ الَّتِي تَرَوْنَهَا تَحْنُو عَلَى أَمْوَاجِ الرَّيْنِ الْعَرِيضِ

وَهَاتُوا لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ مَارِدًا؛ كُلُّ مَارِدٍ مِنْهُمْ أَوْثَقُ فَقَارًا مِنْ مِثَالِ الْقِدِّيسِ «كُرِيسْتُوفِ» فِي كَنِيسَةِ كُولِنِ الْكُبْرَى

إِنَّهُمْ سَيَحْمِلُونَ التَّابُوتَ جَمِيعًا، وَيُنْزِلُونَهُ إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ الْعَمِيقِ، فَمَا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ تَابُوتٍ قَدِيرٍ، مَكَانٌ دُونَ ذَلِكَ الْمَكَانِ الْكَرِيمِ

وَلَكِنْ مَا بَالُهُ يَرْسَخُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ الْوِقْرُ الثَّقِيلُ ...؟

أَعَلِمْتُمْ مَا بَالُهُ يَا رِفَاقُ! ... لَقَدْ أَوْدَعْتُه حُزْنِي، وَقَدْ أَوْدَعْتُهُ حُبِّي.

لا بديل [الأفوه الأودي](١٥٥)

كُـــلُّ جُـــزْءٍ مِـــنْ مَحَاسِـــنِهَا كَـــائِنٌ مِـــنْ حُسْـــنِهِ مَـــثَلَا

---

(١٥٤) صهريجٌ يسع ٤٧٠٠٠ جالون.

(١٥٥) صلاءة بن عمرو بن مذحج، جاهليٌّ حكيمٌ ومن شعره:

لا يصلح النَّاس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جُهَّالهم سادوا

تُوفِّي سنة ٥٧٠ ميلادية.

لَـــوْ تَمَنَّـــتْ فِـــي بَرَاعَتِهَـــا لَـــمْ تَجِـدْ فِـي حُسْـنِهَا بَـدَلَا

خير الكلام [أحمد بن الخصيب](١٥٦)

خَيْـــرُ الْكَـــلَامِ قَلِيـــلٌ عَلَـــى الْكَثِيـــرِ دَلِيـــلُ

وَالْعِـــيُّ مَعْنًـــى قَصِـــيرٌ يَحْوِيـــهِ لَفْـــظٌ طَوِيـــلُ

آخر الكأس [إبراهيم بن هلال الصَّابي](١٥٧)

الْعُمْـــرُ مِثْـــلُ الْكَـــأْسِ يَـــرْ سُـــبُ فِـــي أَوَاخِرِهَـــا الصَّـــدَى

جلساء مأمونون [ابن الأعرابي](١٥٨)

لَنَـا جُلَسَـاءُ مَـا نَمَـلُّ حَـدِيثَهُمْ أَلِبَّـاءُ، مَـأْمُونُونَ، غَيْبًـا وَشُـهَّدَا

يُفِيدُونَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَعَقْـلًا وَتَأْدِيبًـا، وَرَأْيًـا مُسَـدَّدَا

فَلَا فِتْنَةٌ تُخْشَى وَلَا سُوءُ عِشْرَةٍ وَلَا نَتَّقِـي مِـنْهُمْ لِسَـانًا وَلَا يَـدَا

فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ، فَمَا أَنْتَ كَاذِبٌ، وَإِنْ قُلْـتَ أَحْيَـاءٌ فَلَسْـتَ مُفَنَّـدَا

طارقان [الحسين بن محمد السهواجي](١٥٩)

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى الْحُبَّ لَوْ كَانَ نَافِعِي مِنَ الْحُبِّ أَنْ أَخْشَاهُ قَبْلَ وُقُوعِهِ

كَمَا حُذِّرَ الْإِنسَانُ مِنْ نَوْمِ عَيْنِهِ وَنَـامَ وَلَـمْ يَشْـعُرْ أَوَانَ هُجُوعِـهِ

---

(١٥٦) حفيد الخصيب والي مصر، وكاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر.

(١٥٧) منشئٌ بليغٌ، جليلُ القدر، خدم بني بويه وارتفع مكانه في دولتهم وقصده الشعراء والأدباء، وعُرضت عليه الوزارة ليسلم فامتنع وبقي على دينه (٣١٣–٣٨٤).

(١٥٨) محمد بن زياد المشهور بابن الأعرابي، كان أبوه عبدًا سنديًّا، ولكنه توسَّع في دراسة العربية فعُدَّ من أعلامها، تُوفِّي سنة ٢٣١؟

(١٥٩) من أدباء صعيد مصر تُوفِّي سنة ٤٠٠هـ.

وأبوه [العباس بن الأحنف][١٦٠]

انْظُرْ إِلَى جَسَدٍ أَضَرَّ بِهِ الْهَوَى   لَوْلَا تَقُلُّبُ طَرْفِهِ دَفَنُوهُ
مَنْ كَانَ خِلْوًا مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى   فَأَنَا الْهَوَى، وَأَخُو الْهَوَى، وَأَبُوهُ

إلا الكبائر [الحسين بن عبد الله البغدادي]

أَنَا لَا أَصْبِرُ عَمَّنْ   لَا يَجُوزُ الصَّبْرُ عَنْهُ
كُلُّ ذَنْبٍ فِي الْهَوَى يُغْـ   ـفَرُ لِي، مَا لَمْ أَخُنْهُ

شجرة السم [وليام بليك][١٦١]

غَضِبْتُ مِنْ صَدِيقِي، وَتَكَلَّمْتُ، فَخَفِيَ الْغَضَبُ وَانْتَهَى
وَغَضِبْتُ مِنْ عَدُوِّي، وَلَمْ أَتَكَلَّمْ، فَخَفِيَ وَنَمَا

* * *

رَوَيْتُ الْغَضَبَ بِمَاءِ الْمَخَاوِفِ، وَسَقَيْتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِالدُّمُوعِ
وَشَمَّسْتُهُ بِالْبَسَمَاتِ الْكَوَاذِبِ، وَرَوَّحْتُ عَلَيْهِ بِالْحِيَلِ الْمُخَادِعَاتِ

* * *

وَرَاحَ يَنْمُو، وَيَتَفَرَّعُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
ثُمَّ حَمَلَتْ شَجَرَتُهُ تُفَّاحَةً ذَاتَ لَوْنٍ بَهِيجٍ
رَآهَا عَدُوِّي تَبْرُقُ فِي الضِّيَاءِ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تُفَّاحَتِي

---

(١٦٠) من شعراء الغزل المشهورين، قصر شعره على الغزل وما إليه، وقضى معظم أيَّامه ببغداد وتُوفي سنة ١٩٣.

(١٦١) William Blake شاعر ومصوِّر إنجليزي، من أصحاب الرُّؤى والخيالات الدينية (١٧٥٧–١٨٢٧).

فَتَسَلَّلَ إِلَى الشَّجَرَةِ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ

وَأَقْبَلَ الصَّبَاحُ بِنُورِهِ وَافرَحَاهُ. فَإِذَا هُوَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ طَرِيحٌ.

إنصاف النجوم [علي بن بسام][١٦٢]

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدَّعِي ... أَنَّ نُجُومَ اللَّيْلَ لَيْسَتْ تَغُورُ

لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ: فَإِنْ لَمْ تَجُدْ ... طَالَ، وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

متعود [كُثَيِّر عزة]

فَإِنْ تَبْذُلِي لِي مِنْكِ يَوْمَ مَوَدَّةٍ ... فَقِدْمًا تَخِذْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ بُذُولِ

وَإِنْ تَبْخَلِي «يَا لَيْلُ» عَنِّي فَإِنَّنِي ... تُوَكِّلُنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلٍ بِنَائِلٍ ... قَلِيلٍ، وَلَا رَاضٍ لَهُ بِقَلِيلِ

وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي ... إِذَا غِبْتُ عَنْهُ بَاعَنِي بِخَلِيلِ

وَلَكِنْ خَلِيلِي مَن يُدِيمُ وِصَالَهُ ... وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ

أدوية الحب [أُمُّ الضَّحَّاكِ المُحاربيَّة][١٦٣]

سَأَلْتُ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا ... تَبَارِيحَ هَذَا الْحُبِّ مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ

فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا يُذْهِبُ الْحُبَّ بَعْدَمَا ... تَبَوَّأَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ؟

فَقَالُوا: شِفَاءُ الْحُبِّ حُبٌّ يُزِيلُهُ ... لِآخَرَ، أَوْ نَأْيٌ طَوِيلٌ عَلَى الْهَجْرِ

أَوِ الْيَأْسُ حَتَّى تَذْهَلَ النَّفْسُ بَعْدَمَا ... رَجَتْ طَمَعًا، وَالْيَأْسُ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ

---

(١٦٢) شاعر غزل هجاء، ومُعظم هجائِهِ في أبيهِ، نشأ ببغداد وتقلَّدَ البريد (٢٣٠–٣٠٢).

(١٦٣) شاعرة جاهلية من مُحارب، وأكثر شعرها في زوجها وكانت تحبه وطلَّقها.

سيان [علي عبد العزيز الجرجاني][١٦٤]

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُسَرُّ بِمَنْ دَنَا   مَخَافَةَ نَأْيٍ أَوْ حِذَارَ صُدُودِ
فَلَيْسَ قَرِيبًا مَنْ يُخَافُ بُعَادُهُ   وَلَا مَنْ يُرَجَّى قُرْبُهُ بِبَعِيدِ

سلفة من الصبر [علي عبد العزيز الجرجاني]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفِقًا   عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا   عَلَيْكَ، وَإِنْظَارًا إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلَتْ كُنْتَ الْغَنِيَّ، وَإِنْ أَبَتْ   فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ

الأحمق [مسكين الدَّارمي][١٦٥]

اتَّقِ الْأَحْمَقَ أَنْ تَصْحَبَهُ   إِنَّمَا الْأَحْمَقُ كَالثَّوْبِ الْخَلَقْ
كُلَّمَا رَقَّعْتَ مِنْهُ جَانِبًا   حَرَّكَتْهُ الرِّيحُ وَهْنًا فَانْخَرَقْ
وَإِذَا جَالَسْتَهُ فِي مَجْلِسٍ   أَفْسَدَ الْمَجْلِسَ مِنْهُ بِالْخَرَقْ
كَحِمَارِ السُّوءِ إِنْ أَشْبَعْتَهُ   رَمَحَ النَّاسَ، وَإِنْ جَاعَ نَهَقْ
أَوْ كَعَبْدِ السُّوءِ، إِنْ جَوَّعْتَهُ   سَرَقَ الْجَارَ، وَإِنْ يَشْبَعْ فَسَقْ

طريق مؤنس [رسته الأصبهاني][١٦٦]

قَدْ مَاتَ كُلُّ نَبِيلٍ   وَمَاتَ كُلُّ نَبِيهِ
لَا يُوحِشَنْكَ طَرِيقٌ   كُلُّ الْخَلَائِقِ فِيهِ

---

(١٦٤) كان قاضي قضاة الري، وله مُشاركة في التَّاريخ والتفسير والأدب، تُوفي سنة **٣٩٢**.
(١٦٥) ربيعة بن عامر ولُقِّبَ بالمسكين لقوله: أنا مسكينٌ لمن أنكرني. من شعراء القرن الأول وقد عاصر الفرزدق وهاجاه.
(١٦٦) كان ضريرًا ونشأ بأصبهان وشَخَصَ إلى بغداد، وتُوفِّي سنة **١٧٥هـ**.

دموع الحديث [ذُو القرنين التغلبي][١٦٧]

لَـوْ كُنْـتَ سَـاعَةَ بَيْنِنَـا مَـا بَيْنَنَـا وَشَـهِدْتَ حِـينَ نُكَـرِّرُ التَّوْدِيعَـا

أَيْقَنْـتَ أَنَّ مِـنَ الـدُّمُوعِ مُحَـدِّثًا وَعَلِمْـتَ أَنَّ مِـنَ الْحَـدِيثِ دُمُوعَـا

هاربٌ في مكانه [فرلين][١٦٨]

آهٍ. إِنَّ نَفْسِي لَحَزِينَةٌ، جِدُّ حَزِينَةٍ

وَمِمَّ؟ ... مِنْ جَرَّاءِ امْرَأَةٍ!

* * *

وَتَعَزَّيْتُ، وَمَا مِنْ عَزَاءٍ

وَإِنْ كَانَ الْقَلْبُ قَدْ فَرَّ مِنْهَا مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ

* * *

فَرَّتْ رُوحِي، وَفَرَّ قَلْبِي، لِيَضْمُدَ الْجِرَاحَ

وَالرُّوحُ وَالْقَلْبُ لَا يَسْلُوانِ

وَتَعَزَّيْتُ، وَمَا مِنْ عَزَاءٍ

وَإِنْ كَانَ قَلْبِي قَدْ فَرَّ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ

* * *

ثُمَّ قَالَ الْقَلْبُ الْوَاهِنُ لِلرُّوحِ الْحَائِرَةِ:

---

(١٦٧) أو وجيه الدولة، تولَّى إمرة دمشق وتُوفي في أوائل القرن الخامس للهجرة.

(١٦٨) شاعر فرنسي، عَاش عيشة الآفاقيين وسُجن سنتين؛ لأنه أطلق الرصاص على تلميذه الشَّاعر الناشئ أرثر رامبو، واشتغل حينًا بالتعليم (١٨٤٤–١٨٩٦).

أَمُمْكِنٌ هَذَا؟ أَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ؟
أَمُمْكِنٌ أَنَّكِ فَارَقْتِ مَنْفِيَّةً
وَنَأَيْتِ فِي حُزْنٍ وَإِبَاءٍ؟

* * *

قَالَتِ الرُّوحُ: وَهَلْ أَعْلَمُ أَنَا مَا هُنَالِكَ؟!
وَهَلْ أَدْرِي فِي أَيِّ مَكَانٍ تُعَدُّ لَنَا خَفَايَا الشِّبَاكِ؟!
جَائِزٌ أَنْ أَبْتَعِدَ مَا ابْتَعَدَتْ، وَأَرْحَلُ حَيْثُ رَحَلَتْ
وَلَكِنَّنِي لَمْ أَبْرَحْ حَيْثُ كُنْتُ، وَلَا أَزَالُ أُقِيمُ.

تعالَي [كرستينا روزتي][١٦٩]

تَعَالَيْ فِي سَجْوَةِ اللَّيْلِ
تَعَالَيْ فِي الصَّمْتِ النَّاطِقِ: صَمْتِ الْأَحْلَامِ
تَعَالَيْ بِالْوَجْنَةِ الْبَضَّةِ وَالْعَيْنِ الْوَضِيئَةِ
كَشُعَاعِ الشَّمْسِ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ
إِيهٍ يَا ذِكْرَى الرَّجَاءِ وَالْحُبِّ فِي السَّنَوَاتِ الْخَالِيَاتِ
تَعَالَيْ فِي الدُّمُوعِ

* * *

(١٦٩) Christina Rosetti شاعرة أخت شاعر وأبوهما إيطاليٌّ أديبٌ عَاشَ في البلادِ الإنجليزية (١٨٣٠–١٨٩٤).

مَا أَحْلَاكَ يَا حُلْمُ!

مَا أَشَدَّ مَا حَلَوْتَ! مَا أَمَرَّ مَا حَلَوْتَ ...!

مَا كَانَ أَوْلَى بِالْيَقَظَةِ مِنْكَ أَنْ تَكُونَ فِي جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ

حَيْثُ الْأَرْوَاحُ الْمُتْرَعَةُ بِالْحُبِّ تَسْكُنُ وَتَتَلَاقَى

حَيْثُ الْعُيُونُ الظَّوَامِئُ تَتَشَوَّفُ إِلَى الْبَابِ الْبَطِيءِ

الَّذِي يَنْفَتِحُ لِيَدْخُلَ مِنْهُ الْمُقْبِلُ، وَلَا يَنْفَتِحُ لِيَخْرُجَ مِنْهُ مُفَارِقٌ

* * *

بَلْ تَعَالَيْ إِلَيَّ فِي الْأَحْلَامِ، نَسْتَعِيدُ مَا كَانَ

وَلَوْ صُورَةً كَصُورَةِ التِّمْثَالِ قَدْ بَرَدَتْ مِنْهُ الْحَيَاةُ

تَعَالَيْ فِي الْأَحْلَامِ. عَسَى أَنْ أُعْطِيَكِ نَبْضَةً بِنَبْضَةٍ وَنَفَسًا بِنَفَسٍ

وَتَكَلَّمِي بِرِفْقٍ. وَانْحَنِي بِرِفْقٍ، كَمَا كُنَّا مِنْ قَدِيمٍ

آهٍ. مَا أَبْعَدَهُ مِنْ قَدِيمٍ!

منسيات مذكورات [كرستينا روزتي]

وَدِدْتُ لَوْ ذَكَرْتُ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ، وَالسَّاعَةَ الْأُولَى، وَاللَّحْظَةَ الْأُولَى

لَحْظَةَ اللِّقَاءِ ... أَوَّلَ لِقَاءٍ

وَدِدْتُ لَوْ أَذْكُرُهَا أَكَانَتْ مُصْحِيَةً أَمْ غَائِمَةً، وَفِي الصَّيْفِ كَانَتْ أَمْ فِي الشِّتَاءِ

إِنَّهَا انْطَلَقَتْ بِنَا غَيْرَ مَرْصُودَةٍ، وَفِي غَيْرِ سِجِلٍّ مَحْفُوظٍ

كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا أَرَى، وَمَا سَوْفَ أَرَى

كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ شَجَرَتِي وَهْيَ تَنْبُتُ مِنْ جَوْفِ الثَّرَى

تِلْكَ الشَّجَرَةُ «الَّتِي سَيَنْقَضِي كَمْ مِنْ رَبِيعٍ» وَهِيَ لَا تَحْمِلُ زَهْرَةً

لَيْتَنِي أَذْكُرُ سَاعَتَهَا ...

يَوْمٌ فِي الْأَيَّامِ أَتَى وَانْقَضَى وَلَا أَثَرَ. كَأَنَّهُ ذَوْبُ الثَّلْجِ الَّذِي مَضَى

كَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْنِي شَيْئًا، كَأَنَّهَا كَانَتْ تَعْنِي كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يُسْأَلُ عَنْهَا

أَلَا لَيْتَنِي أَسْتَعِيدُ الْيَوْمَ ذِكْرَاهَا

ذِكْرَى اللَّمْسَةِ الْأُولَى إِذِ الْيَدُ مُصَافِحَةٌ أُخْرَى

آهٍ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ.

صديق مراء [يزيد بن الحكم الثقفي][١٧٠]

تُكَاشِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ   وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي[١٧١]

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيتُهُ   وَأَنْتَ عَدُوِّي؟ لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِي

تُصَافِحُ مَنْ لَاقَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ   صِفَاحًا، وَكَيْدِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُنْزَوِي

أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوَ أَمْرًا هَوِيتَهُ   وَلَسْتَ لِمَا أَهْوَى مِنَ الْأَمْرِ بِالْهَوِي

تَمَلَّأْتَ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ   بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كِدْتَ بِالْغَيْظِ تَنْشَوِي

جَمَعْتَ، وَفُحْشًا، غِيبَةً وَنَمِيمَةً:   خِصَالًا ثَلَاثًا لَسْتَ عَنْهَا بِمُرْعَوِي

كيف [مجنون ليلى]

وَكَيْفَ أُطِيعُ الْعَاذِلَاتِ وَحُبُّهَا   يُؤَرِّقُنِي، وَالْعَاذِلَاتُ هُجُوعُ

---

(١٧٠) يزيدُ بن الحكم بن عثمان الثقفي، شاعرٌ من سراة الشعراء في العصر الأموي ولَّاهُ سليمان بن عبد الملك بعض ولاياته، تُوفِّي سنة ٩٠هـ.

(١٧١) أي مصابٌ بالدَّاءِ.

غناء [أبو علي البصير][١٧٢]

غِنَــاؤُكِ عِنْــدِي يُمِيــتُ الطَّــرَبْ وَضَــرْبُكِ بِــالْعُودِ يُحْيِــي الْكُــرَبْ
وَلَـــمْ أَرَ قَبْلَـــكِ مِـــنْ قَيْنَـــةٍ تُغَنِّـــي فَأَحْسِـــبُهَا تَنْتَحِـــبْ
وَلَا شَـــاهَدَ النَّـــاسُ إِنْسِـــيَّةً سِــوَاكِ لَهَــا بَــدَنٌ مِــنْ خَشَــبْ
وَوَجْـــهٌ رَقِيـــبٌ عَلَـــى نَفْسِـــهِ يُنَفِّــرُ عَنْــكِ عُيُــونَ الرِّيَــبْ
وَلَــوْ مَــازَجَ النَّــارَ فِــي حَرِّهَــا حَــدِيثُكِ أَخْمَــدَ مِنْهَــا اللَّهَــبْ

الوراثة [توماس هاردي]

أَنَا وَجْهُ الْأُسْرَةِ

يَبْلَى اللَّحْمُ وَالدَّمُ وَأَنَا حَيٌّ لَا أَبْلَى

أَنْقُلُ الْأَشْبَاهَ وَالْمَلَامِحَ مِنْ زَمَنٍ مَجْهُولٍ إِلَى زَمَنٍ مَجْهُولٍ

وَأَقْفِزُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

عَلَى هَاوِيَةِ الظَّلَامِ وَالنِّسْيَانِ

* * *

تِلْكَ الْمَعَارِفُ الْمُتَعَاقِبَةُ

الَّتِي فِي وُسْعِهَا بِثَنْيَةٍ فِي عِطْفٍ

أَوْ نَبْرَةٍ فِي صَوْتٍ، أَوْ لَمْحَةٍ فِي عَيْنٍ

أَنْ تَزْدَرِي بِالْآجَالِ الْمَقْدُورَةِ لِلْإِنْسَانِ

تِلْكَ هِيَ أَنَا

(١٧٢) الفضل بن جعفر بن الفضل شاعرٌ ظريفٌ مكفوف البصر تُوفِّي في خلافة المُعتمد.

تِلْكَ هِيَ الشَّيْءُ السَّرْمَدُ فِي الْفَانِي

الَّذِي لَا يُلَبِّي دَعْوَةَ الْفَنَاءِ.

نشيدُ الصَّيدِ [داننزيو][١٧٣]

لَمْ يَزَلْ نِقَابُ الطَّلِّ الضَّبَابِيِّ يَحْجُبُ وَجْنَةَ الصَّبَاحِ الْوَرْدِيَّةِ

وَاسْتَمِعْ هُنَاكَ ... مَا أَخَفَّ وَطْءَ الثَّعَالِبِ وَهْيَ تَرْكُضُ فِي الْآجَامِ!

* * *

وَعَلَى مِهَادِ الدِّمَقْسِ كِلَارَا – كِلَارَاي – تُنْفِقُ سَاعَاتِ الْكَسَلِ فِي الْأَحْلَامِ

يَصْعَدُ إِلَيْهَا نَسِيمُ الْمُرُوجِ الْبَلِيلُ دَفِيءُ الْأَنْفَاسِ

وَسِيَّانِ فِيهَا الْأَعْشَابُ وَالْأَزْهَارُ، فِي نُضْرَةِ الْجَمَالِ

* * *

ارْفَعِي أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ الْحُلْوَةُ مِنْ ضَجْعَتِكِ الْغَائِرَةِ

كُلَّ مَا فِي ذَلِكَ الرَّأْسِ الْبَدِيعِ مِنْ هَالَةِ فَخَارٍ

وَاسْمَعِي ... إِنَّ الْكِلَابَ لَتَعْوِي فِي الْفِنَاءِ

عِوَاءً كَفِيلًا بِيَقَظَةِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ

أَلَا تَسْمَعِينَ الْبُوقَ الْمَرِحَ يَدْعُوكِ إِلَى الطِّرَادِ؟

إِلَيْهِ. إِلَيْهِ!

---

(١٧٣) جبرائيل داننزيو شاعر إيطالي مشهور وُلد سنة ١٨٦٣ ومات في الخامسة والسبعين من عمره، وهذه القصيدة تمثله في حياته وأدبه إلى شيخوخته وكلاهما مزيجٌ من مغامرات الحب والرياضة والحركة العنيفة.

إِنَّ الظِّبَاءَ قَدْ فَارَقَتْ خُدُورَهَا

عَلَى فِجَاجِ الْبَلُّوطِ وَالْعَوْسَجِ الْقَدِيمِ

* * *

لُفِّي ذَيْنِكِ النَّهْدَيْنِ الْكَاعِبَيْنِ فِي قَبَاءٍ

لَهُ مِنَ الرُّجُولَةِ شَدٌّ وَإِحْكَامٌ

إِنِّي لَأَسْمَعُ فَرَسَكِ الْحَبِيبَ

يَصْهِلُ لَكِ فِي طَرَبٍ وَانْتِشَاءٍ، وَيَدُقُّ بِالْحَافِرِ الْقَلِقِ

مَتْنَ الطَّرِيقِ الْمَرْصُوفِ

* * *

هَا أَنْتِ ذِي عَلَى السَّلَالِمِ سَيِّدَتِي. هَا هَا

هَلُمِّي هَلُمِّي، بَدَارِ بَدَارِ

الصَّبَاحُ الْمُوَرِّدُ يَتَوَهَّجُ عَلَى الْقِمَمِ

فَإِلَى الْمُرُوجِ إِلَى الْمُرُوجِ! وَإِلَى الْفَضَاءِ ...

لا أدري [زيد بن رزين](١٧٤)

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَبِالْمُلْكِ تَبْتَغِي ... نَجَاحَ الَّذِي حَاوَلْتَ، أَمْ تَتسَرَّعُ

وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَشَيْءٌ تُحِبُّهُ ... يَسُرُّكَ، أَمْ مَا تَكْرَهُ النَّفْسُ أَنْفَعُ

---

(١٧٤) زيد بن رزين بن الملوح، أخو بني مر بن بكر، شاعر فارس.

وَإِنَّـــكَ لَا تَـــدْرِي بِأَيَّـــةِ بَلْـــدَةٍ صَدَاكَ، وَلَا عَنْ أَيِّ جَنْبَيْكَ تُصْرَعُ

السياط هينة [ابنة الحباب](١٧٥)

أَقُــولُ لِعَمْــرٍو وَالسِّــيَاطُ تَلَفُّنِــي لَهُــنَّ عَلَــى مَتْنَــيَّ شَــرُّ دَلِيــلِ

فَأَشْـهَدُ – يَـا غَيْـرَانُ – أَنِّي أُحِبُّـهُ! بِسَـوْطِكَ فَاضْـرِبْنِي وَأَنْـتَ ذَلِيلِـي

وقطع اللسان [ابنة الحباب]

خَلِيلَــيَّ إِنْ أَصْـعَدْتُمَا أَوْ هَبَطْتُمَــا بِـلَادًا هَـوَى نَفْسِـي بِهَـا فَاذْكُرَانِيَـا

وَلَا تَــدَعَا، إِنْ لَامَنِــي ثَــمَّ لَائِــمٌ عَلَـى سَـخَطِ الْوَاشِـينَ أَنْ تَعْـذُرَانِيَا

فَقَدْ شَفَّ قَلْبِي بَعْدَ طُولِ تَجَلُّدِي أَحَادِيثُ مِنْ يَحْيَى تُشِيبُ النَّوَاصِيَا

سَأَرْعَى لِيَحْيَى الْوُدَّ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَإِنْ قَطَّعُوا فِـي ذَاكَ عَمْـدًا لِسَـانِيَا

إن لم يكن موتٌ فرثاء! [ابن مناذر](١٧٦)

كُــلُّ حَــيٍّ لَاقِــي الْحِمَــامِ فَمُــودِ؛ مَــا لِحَــيٍّ مُؤَمِّــلٍ مِــنْ خُلُــودِ

لَا تَهَــابُ الْمَنُــونُ شَــيْئًا وَلَا تَــرْ عَــى عَلَــى وَالِــدٍ وَلَا مَوْلُــودِ

وَلَقَــدْ تَتْــرُكُ الْحَــوَادِثُ وَالْأَيَّــ ـيَامُ وَهْيًـا فِـي الصَّـخْرَةِ الْجُلْمُـودِ

وَأَرَانَــا كَــالزَّرْعِ يَحْصُــدُهُ الدَّهْــ ــرُ، فَمَــا بَــيْنَ قَــائِمٍ وَحَصِــيدِ

وَكَأَنَّــا لِلْمَــوْتِ رَكْــبٌ مُخِبُّــو نَ، سِــرَاعًا لِلْمَنْهَــلِ الْمَــوْرُودِ

---

(١٧٥) البيتان وما بعدهما تقولهما شقراء بنت الحباب – شاعرة إسلامية – تُخاطِبُ بها زوجها وقد ضربها؛ لأنه علم أنها تُحبُّ فتًى اسمه يحيى.

(١٧٦) محمد بن مناذر، من شعراء القرن الثاني، وكان يتنسَّكُ فتهتك وجنح إلى المجون وجهر بذلك بعد موت عبد المجيد الثقفي الذي نظم في رثائه هذه القصيدة، وهي من عيون شعره.

إِنَّ عَبْـــدَ الْمَجِيـــدِ يَـــوْمَ تَـــوَلَّى هَــدَّ رُكْنًــا مَــا كَــانَ بِالْمَهْــدُودِ
مَـــا دَرَى نَعْشُـــهُ وَلَا حَـــامِلُوهُ مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
وَيْــحَ أَيْــدٍ حَثَــتْ عَلَيْــهِ، وَأَيْــدٍ دَفَنَتْـهُ، مَـا غَيَّبَـتْ فِـي الصَّـعِيدِ!
حِـــينَ تَمَّـــتْ آدَابُـــهُ وَتَـــرَدَّى بِـــرِدَاءٍ مِـــنَ الشَّـــبَابِ جَدِيـــدِ
وَسَـــقَاهُ مَـــاءُ الشَّـــبِيبَةِ فَـــاهْتَزْ زَ اهْتِــزَازَ الْغُصْــنِ النَّــدِ الْأُمْلُــودِ
وَسَـمَتْ نَحْـوَهُ الْعُيُـونُ وَمَـا كَـا نَ عَلَيْـــهِ لِزَائِـــدٍ مِـــنْ مَزِيـــدِ
وَكَـــأَنِّي أَدْعُـــوهُ وَهْـــوَ قَرِيـــبٌ حِــينَ أَدْعُــوهُ مِــنْ مَكَــانٍ بَعِيــدِ
فَلَـئِنْ صَـارَ لَا يُجِيـبُ لَقَـدْ كَـا نَ سَــمِيعًا هَشًّــا إِذَا هُــوَ نُــودِي
وَلَئِنْ كُنْتُ لَمْ أَمُتْ مِنْ جَوَى الحُزْ نِ عَلَيْـــهِ لَأَبْلُغَـــنْ مَجْهُـــودِي
لَأُقِـــيمَنَّ مَأْتَمًـــا كَنُجُـــومِ الـــ ـلَيْلِ زُهْـرًا يَلْطُمْـنَ حَـرَّ الْخُـدُودِ
مُوجَعَـاتٍ يَبْكِـينَ لِلْكَبِـدِ الْحَـرْ رَى عَلَيْـــهِ وَلِلْفُـــؤَادِ الْعَمِيـــدِ

يهجو أبا الشياطين [الفرزدق][177]

قال الفرزدق يهجو إبليس:

أَلَا طَالَمَـا قَـدْ بَـاتَ يُوضِـعُ نَـاقَتِي أَبُـو الْجِـنِّ، إِبْلِـيسٌ، بِغَيْـرِ خِطَـامِ
يَظَـلُّ يُمَنِّينِـي عَلَـى الرَّحْـلِ دَارِكًـا يَكُـــونُ وَرَائِـــي مَـــرَّةً وَأَمَـــامِي
يُبَشِّـــرُنِي أَنْ لَـــنْ أَمُـــوتَ وَأَنَّـــهُ سَـــيُخْلِدُنِي فِـــي جَنَّـــةٍ وَسَـــلَامِ

(177) ا لفرزدق من أشهر شعراء القرن الأوَّل، كان يتشيَّعُ لأهل البيت، وهو وجرير والأخطل نُظراءُ في الشُّهرَةِ والإجادة وقع بينهم كثير من المفاخرة والمهاجاة.

فَقُلْتُ لَهُ: هَلَّا أُخَيَّكَ[١٧٨] أَخْرَجَتْ   يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ الْبُحُورِ طَوَامِي
رَمَيْتَ بِهِ فِي الْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ   كَفِرْقَةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَمَامِ[١٧٩]
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ الْمَوْجُ طَامِيًا   نَكَصْتَ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامِ
وَآدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهْوَ سَاكِنٌ   وَزَوْجَتُهُ فِي خَيْرِ دَارِ مُقَامِ
وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ إِنَّكَ نَاصِحٌ   لَهُ وَلَهَا إِقْسَامَ غَيْرِ أَثَامِ
فَظَلَّا يَخِيطَانِ الْوِرَاقَ عَلَيْهِمَا   بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ
وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا   أَحَادِيثَ، كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامِ
وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِالْمَرْءِ أَبْتَغِي   رِضَاهُ، وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامِ
سَأَجْزِيكَ مِنْ سَوْآتِ مَا كُنْتَ سُقْتَنِي   إِلَيْهِ جُرُوحًا فِيكَ ذَاتَ كِلَامِ
تُعَيِّرُهَا فِي النَّارِ وَالنَّارُ تَلْتَقِي   عَلَيْكَ بِزَقُّومٍ لَهَا وَضِرَامِ

موجة في بحر [ابن الذَّروي][١٨٠]

قيلت في مدح ابن أبي حصينة الأحدب:

لَا تَظُنَّنَّ حَدْبَةَ الظَّهْرِ عَيْبًا   فَهْيَ فِي الْحُسْنِ مِنْ صِفَاتِ الْهِلَالِ
وَكَذَاكَ الْقِسِيُّ مُحْدَوْدَبَاتٌ   وَهْيَ أَنْكَى مِنَ الظُّبَا وَالْعَوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا السِّنَامَ فَفِيهِ   لِقُرُومِ الْجَمَالِ أَيُّ جَمَالِ
كَوَّنَ اللهُ حَدْبَةً فِيكَ أَنْ شِئْـ   ـتَ مِنَ الْفَضْلِ لَا مِنَ الْأَفْضَالِ

(١٧٨) يريدُ فرعون وقد غرق.
(١٧٩) جبلان.
(١٨٠) ابن الذروي شاعرٌ مُتصرِّفٌ في المعاني المُخترعة، تُوفِّي بمصر سنة ٦١٥، وتُنسَبُ هذه الأبيات لغيره.

فَأَتَــتْ رَبْــوَةً عَلَــى طَــوْدِ حُلْــمٍ   مِنْــكَ، أَوْ مَوْجَــةً بِبَحْــرِ نَــوَالِ

دولاب الدهر [ابن الهبارية][١٨١]

لَا غَــرْوَ أَنْ مَلَــكَ ابْــنُ إِســْ   ـــحَاقٍ وَسَــاعَدَهُ الْقَــدَرْ

فَالــدَّهْرُ كَالــدُّولَابِ لَيــْ   ـــسَ يَــدُورُ إِلَّا بِــالْبَقَرْ

الشعر الحي [دعبل الخزاعي][١٨٢]

يَمُوتُ رَدِيءُ الشِّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ   وَجَيِّــدُهُ يَحْيَــا وَإِنْ مَــاتَ قَائِلُــهْ

---

(١٨١) ابن الهبارية أبو يعلى محمد بن محمد وهو ناظم كليلة ودمنة تُوفي سنة ٥٠٤هـ.

(١٨٢) أبو علي دعبل بن علي الخزاعي شاعرٌ مجيدٌ ينزعُ إلى الهجاءِ والتمرُّد وهو القائل: «إنني أحمل خشبتي على كتفي لا أجد من يصلبني عليها»، تُوفِّي سنة ٢٤٦هـ.

الفهرس